أعلام مؤرخي العرب والإسلام

خليفة بن خياط

في تاريخه وطبقاته

إعداد
الدكتور حسين عاصي
أستاذ في الجامعة اللبنانية

المؤرخون

دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

خليفة بن خياط

في تاريخه وطبقاته

إعداد

الدكتور حسين عاصي
أستاذ في الجامعة اللبنانية

دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

الطبعة الأولى
١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م

يطلب من: دار الكتب العلمية بيروت - لبنان
ص.ب: ١١/٩٤٢٤ تلكس: Nasher 41245 Le
هاتف: ٣٦٦١٣٥ - ٨١٥٥٧٣

بسم الله الرحمٰن الرحيم

المقدمة

لم يكن الاهتمام بالتاريخ في المجتمع الإسلامي خاصاً بفئة من الفئات الاجتماعية ولا جماعة معينة من العلماء، بل رافق نشوء ونمو الحضارة العربية الإسلامية بمختلف عصورها. وقد وجه العرب والمسلمون عناية فائقة إلى تاريخهم منذ فترة مبكرة فبدأوا بتدوين أخباره منذ منتصف القرن الثاني للهجرة غداة استقرار دولتهم أثر انتهاء موجة الفتوح في عصري الخلفاء الراشدين والأمويين بعد أن استمرت الرواية الشفوية للأخبار سائدة خلال حقبة من الزمن.

كانت نشأة التاريخ العربي الإسلامي نشأة طبيعية أتت استجابة لحاجة المجتمع نتيجة ظهور عوامل وأسباب حفّزت على تدوينه كالاهتمام بالوقوف على أسباب التنزيل ورواية الحديث واستقصاء أخبار الفتوح التي أنجزت وتدوين حوادثها والبحث عن علائق العرب والمسلمين بمن جاورهم، ومعرفة أخبار الفتن الداخلية التي

ضربت بلاد المسلمين، وظروف قيام خلافتي الأمويين والعباسيين، ودراسة تاريخ الحضارة العربية الإسلامية هذه الأسباب وغيرها زادت من ثراء المادة التاريخية.

يدين التأريخ العربي والإسلامي للحديث في نشأته ومنهجه وغايته. وقد ظل التداخل بينهما وثيقاً خلال عدة قرون قبل أن ينفلت التاريخ من دائرة الحديث ويستقل عنه، لا سيما وأن معظم المؤرخين كتبوا في التاريخ إنطلاقاً من الإهتمام بالحديث، جمعاً أو كتابة. كما برزوا أساساً كمحدثين وجمعوا بين صفتي المؤرخ والمحدث.

ولعل مرحلة القرن الثالث الهجري، كانت منعطفاً مهماً في تكوين علم التأريخ حيث شهدت ما سمي بالمؤرخين الكبار، الذين نالوا شهرة واسعة في التاريخ والحديث معاً وأصبحت مؤلفاتهم المصدر الرئيسي لاحداث القرون الثلاثة الأولى من التاريخ الإسلامي. وفي مقدمة هؤلاء خليفة بن خياط الذي يعتبر أحد الرواد الأوائل للتاريخ على السنين أو التأريخ الحولي وهي الطريقة التي أعتمدها فيما بعد الطبري في تاريخه المطوّل. وفي طبقاته أو تأريخه يمدنا خليفة بلوائح مفصلّة للمحدثين حسب طبقاتهم وبأسماء الولاة والقضاة وأمراء الحجّ وأصحاب بيوت المال والشرطة في عهد كل خليفة فضلاً عن أسماء القتلى في المواقع الكبرى وتصنيفها تبعاً للإنتماء القبلي مما يجعل منه مصدراً مهماً في التاريخ الإداري والمالي، إضافةً إلى أهميته كمصدر بارز في التاريخ السياسي.

وعن خليفة بن خياط صاحب طبقات رواة الحديث والتاريخ ستدور أبحاث هذه الدراسة آملين أن نفي بالقصد.

الفصل الأول

عصر خليفة بن خياط

أولاً: ملامح العصر السياسية والثقافية

يفصل بين عصر بني العباس وعصر الرسالة قرن وثلث قرن من الزمن فقط توالى فيها على حكم الجماعة الإسلامية بعد الرسول محمد (صلعم) الخلفاء الراشدون فترة لم تزد كثيراً على ربع قرن، ثم الأمويون قرابة قرن واحد، وذلك قبل أن تؤول مقاليد السلطة إلى العباسيين، فيتربعوا في قمة التاريخ الإسلامي ويظلوا في عنوانه خمسة قرون هي أطول مدة عرفتها أسرة حاكمة في ذلك التاريخ وفي كثير من التواريخ الأخرى.

وقد سبق قيام الدولة العباسية دعاية سرية اتخذت من حق «بني هاشم» أو «آل البيت» الشرعي في الخلافة شعاراً لها، ومن تحسين أوضاع الموالي اقتصادياً واجتماعياً وسياسياً ومساواتهم بالعرب برنامج عملها، ومن الوعد بالعودة إلى الكتاب والسنّة أساساً لحكمها الآتي. وقد استغلت الدعوة العباسية في نشر مبادئها ظروفاً ومبادىء وأفكاراً متباينة. استغلت الأزمة الاقتصادية الناجمة عن الحرب الاقتصادية مع بيزنطة من جهة وعن تقلص موارد الدولة

عامة من جهة أخرى، والضيق العام الناتج عن كثرة الفتن والثورات وتناحر العصبيات في العهد الأموي الأخير، بحيث نستطيع القول إلى حدٍّ ما، أن سقوط الأمويين لم يكن نتيجة ثورة بدأت بخراسان بقدر ما كان نتيجة اضطراب الحكم في الإدارة ونتيجة عدم الاستقرار بالشام. كما استغلت تذمر العرب في خراسان خاصة والموالي عامة من أوضاعهم الاجتماعية والسياسية، وضيق الطبقات المختلفة من النظام المالي المطبق في الدولة واضطرابه. وأفادت من التيارات الدينية القديمة التي تسرب بعضها إلى الإسلام وتساهل به الدعاة لخلافة بني العباس، كمبدأ التناسخ والحلول والمشاعية المزدكية، حيث سيظهر أثر هذه التيارات الدينية في مطلع العصر العباسي في حركات الراوندية والمقنّعية والخُرّمية وغيرها، وأخيراً لا آخراً أفادت من الحركة العلوية وعطف الناس على آل البيت المضطهدين.

وبعد فترة من الدعوة السرية انتقل العباسيون وأشياعهم إلى العمل جهاراً وعلانية، ودار صراع تميز بالبطش والقوة بين أواخر الأمويين وأنصار الدعوة العباسية انتهى بهزيمة الأمويين في موقعة الزاب سنة ١٣٢هـ وقيام الدولة العباسية. وبصرف النظر عن تفاصيل الصراع العباسي الأموي فإننا نستطيع القول أن النتائج التي تمخّض عنها هذا الصراع قد انعكست على مجمل الحياة الإسلامية بشكل عام ونظم الحكم والإدارة بشكل خاص، لأن انتقال الحكم من الأمويين إلى العباسيين لم يكن مجرد بيعة خليفة دون آخر. لقد كان ثورة في تاريخ الإسلام تعيّن نقطة فاصلة فيه وذلك ليس قياساً على إحداث الثورة نفسها، إنما لفعاليتها وقدرتها على التغيير

الجذري في مختلف مناحي الحياة الإسلامية عامة، وأجهزة الحكم، خلافة ومؤسسات، على وجه التخصيص.

يقول الجاحظ في معرض مقارنته بين الخلافتين الأموية والعباسية: «دولة بني العباس أعجمية شرقية ودولة بني مروان أموية عربية»[1] هل أن انتصار العباسيين يعني من الناحية السياسية انتصار الأعاجم على العرب وسيطرتهم على مرافق الدولة، وهل هذا الأمر ما عناه الجاحظ حقاً؟.

من الناحيتين النظرية والعملية لم ينته سلطان العرب بزوال الدولة الأموية، لأن العرب أنفسهم كانوا القوة الفعّالة في عملية التغيير الثوري. وظلوا خلال العصر العباسي الأول على الأقل، يتقلدون مناصب العمال وقادة الجيوش وإمرة الحجّ، ومنهم صحابة الخليفة وخاصته ومستشاروه، ومنهم القضاة، ولا نبعد فالخلفاء العباسيون عرب من بني هاشم والافتخار بالنسب العربي ظل قائماً في العصر العباسي لدرجة أن بعض الموالي كان يشتري النسب شراءً[2]. وحتى أبو مسلم الخراساني نفسه ادعى النسب العربي. وعدا عن هذا فأن اللغة العربية ظلت لغة السياسة والثقافة وازدادت انتشاراً، كما ازدادت الترجمة في اللغة العربية وإليها. فحكم العرب إذن لم ينته بوصول العباسيين إلى سدة الخلافة، ولكن الامتيازات التي كانت لهم على العناصر الأخرى في الدولة زالت، والعصر العربي الخالص في تاريخ الإسلام قد انتهى، كما أن

---

(١) الجاحظ: البيان والتبيين ٣/٣٦٦.

(٢) شاكر مصطفى: في التاريخ العباسي ١/١٦٧.

الحياة العربية الخالصة للحكام آذنت بالانقراض. فالدولة العباسية أضحت أسلامية أممية لا يشكل العرب أكثر من عنصر كبير وأساسي وحاكم من عناصرها. ويمكن القول أن الدولة العباسية قد تحولت إلى دولة عناصر متعدّدة بعد أن كانت في العصر الأموي واحدة القومية، بمعنى أن الجماعة الحاكمة أيام الأمويين كانت من العرب في غالبيتها العظمى وتحتها القوميات والشعوب الأخرى، أما في العصر العباسي فتحول الحكم إلى حكم قوميات متعدّدة يجمع بينها الإسلام. فكان في طبقاته العليا، بجانب العربي الذي لم يخسر مكانته حتى عهد المعتصم، الإيراني والتركي والبربري والزنجي، نفذوا جميعاً باعتناق الإسلام من طبقة المحكومين إلى طبقة الحاكمين، وشاركوا باعتبارهم مسلمين، في إقامة الحكم الإسلامي وإدارته وفي الاستفادة من الفرص والنعم التي يوفرها هذا الحكم، وأن ما قصده الجاحظ من استعمال تعبير «أعجمية خراسانية» إنما يعني مفهوماً حضارياً إنسانياً يتمثل في تغلغل المظاهر الأعجمية في نظم وثقافة المجتمع في الدولة العباسية الجديدة بصورة أكثر شمولاً وسرعة مما كانت عليه زمن الأمويين.

لقد اعتاد المؤرخون على تقسيم تاريخ الدولة العباسية إلى أدوار حسب أصل ونوع القوى السياسية التي سيطرت على الدولة، وعلى اعتبار أن لا بدّ لكل قوة تسلمت مقاليد الأمور في الدولة من أن تفرض طابعها الحضاري والبشري على الفترة التي حكمت فيها وقد عاصر خليفة بن خياط الدور الأول الذي استمر حوالي قرن من الزمن وامتد من ١٣٢ ـ ٢٣٢ هـ / ٧٥٠ ـ ٨٤٧ م ، وحكم خلاله تسعة من الخلفاء هم على التوالي: أبو العباس السفّاح، أبو جعفر

المنصور، المهدي وإبناه الهادي والرشيد، ثم أبناء الرشيد الثلاثة الأمين والمأمون والمعتصم ثم الواثق بن المعتصم.

في هذا العصر نجد النظم الساسانية تنتقل بكل حذافيرها في كل شؤون الحكم، وتشرع أبواب الإدارات للموظفين الفرس يشاركون في توجيهها عن طريق الأسر المتنفذة منهم، ويقوم المثقفون من أصل فارسي بالكشف عن تجارب الساسانيين في الإدارة والسياسة ليضعوها تحت تصرف سادتهم الجدد من الخلفاء العباسيين، بحيث ساد انطباع بين المسلمين أن السياسة الحكيمة والوعي العمراني يكمنان في نظم الدولة الساسانية، وإن الفرس هم أساتذة في السياسة يضاهي مركزهم فيها مركز الاغريق في الفلسفة، وكان من أثر ذلك إفادة العباسيين على نطاق واسع من تجارب الحكم الفارسية القديمة على نحو أضحى معه كثير من شعائر العباسيين تقليداً متعمداً للعادات الفارسية التي أصبحت معروفة في هذا الزمن عن طريق الموظفين الفرس[1] وصحب حركة الأحياء الفارسي هذه تأثر الخلافة في هذا العصر بالمفهوم الساساني في الحكم، أي بمفهوم الامبراطورية العالمية وما يترتب عليه من صور فرعية[2] وأصبح الخلفاء ملوكاً ساسانيين، يحكمون حكماً مطلقاً ينتقل إليهم بالوراثة ويطبعه الدين بطابعه. لقد تغيرت النظرة إلى الحكم وأصبحت السلطة عند بني العباس مقدّسة

(١) أحمد أمين: ضحى الإسلام ١/١٦٤.

(٢) هاملتون جب: دراسات في حضارة الإسلام ص ٥٨.



ومستمدة من الله وتشبه تماماً نظرية الحق الإلهي في الحكم التي كانت سائدة بين الفرس[1].

وإذا كانت الخلافة منذ العصر الأموي قد تحولت إلى خلافة أوتوقراطية، فأن العباسيين منذ المنصور زادوا في صفتها تلك فجعلوها اوتوقراطية مطلقة، ونمت إلى كل هذا باضطراد الصفة التيوقراطية في سلطة الخليفة العباسي، فبحكم الطريقة التي اصطفوها أثناء دعوتهم للوصول إلى الخلافة وإنهم يريدون إحياء السنّة وإقامة العدل وإرجاع الخلافة الحقّة بدلاً من الملك الذي أقامه الأمويون، فقد اندفع الخلفاء العباسيون إلى أقامة سياسة ممزوجة بالدين، فكان أخيار الناس يطيعونها تديناً، والباقون يطيعونها رهبة ورغبة. وأحاطوا أنفسهم بهالة من الدين والقداسة وجذبوا الفقهاء والعلماء حولهم. وتلقبوا بالأئمة، وارتدوا بردة النبيّ كرمز لسلطتهم الدينية، في المناسبات الخاصة، وحاربوا الزنادقة، كما روجوا الأحاديث النبوية التي تبرر لهم الحق بالحكم إلى يوم القيامة. وهذا هو السر في بقاء الخلافة العباسية مدة طويلة وفي تمتعها بمركز الزعامة الروحية، رغم الضعف الذي آلت إليه فيما بعد، في العالم الإسلامي حتى بعد زوالها من بغداد[2].

---

(١) خطب أبو جعفر المنصور قائلاً: «أيها الناس إنما أنا سلطان الله في أرضه أسوسكم بتوفيقه وسداده...» انظر: ابن قتيبة: عيون الأخبار ٢/٢٥١ ـ ٢٥٢، الدينوري: الأخبار الطوال ٣٣٨ اليعقوبي: تاريخ ٢/٣٦٤.

(٢) يروي السيوطي أنه حينما سقطت الخلافة العباسية على أيدي المغول «خيل للمسلمين أن العالم على وشك الانحلال وأن الساعة آتية عن قريب. وصاروا يؤولون كل ظاهرة على أنها تعبير عن سخط الله واتخذوها أدلة على =



واتجه الحكم العباسي في هذا العصر اتجاهاً حثيثاً نحو مزيد من المركزية والرقابة، وبالتالي نحو مزيد من التعقيد أيضاً[1]. وحرص الخلفاء على تأكيد سلطان الدولة وتحقيق النمط المركزي في بغداد والعراق وفي الولايات الخاضعة لسلطانهم. وإذاً لن نستطيع أن نتخذ فترة حكم السفّاح قاعدة لأنه شغل بتصفية بقايا الأمويين وتثبيت أهداف الثورة فأن المنصور هو أول خليفة عباسي جهد أن يحقق النمط التقليدي للخلافة القوية القادرة المسيطرة. ولعله من هذه الناحية يمكن أن يسمى بالمؤسس الحقيقي للدولة العباسية. وكانت أعماله وجهوده لاقرار النظام العباسي كافية لكي يستمر هذا النظام قائماً من بعده فترة تقارب القرن، لم تمر الخلافة فيها بأزمة حادة إلاّ في السنوات التي رافقت حرب الأخوين المأمون والأمين، وخاصة تلك التي أعقبت مقتل الأمين سنة ١٩٨ هـ، وامتدت حتى بعد وصول المأمون إلى بغداد سنة ٢٠٢ هـ بقليل.

وقد رافقت العصر العباسي الأول من مطلعه إلى منتهاه، صفة رئيسية هي أنه كان عصر صراع بين قوى مختلفة متباينة، فكان صراع بين العرب أنفسهم على الحكم بدأ بين العباسيين والأمويين أول الأمر، ثم بين العباسيين والعلويين، ثم بين العباسيين أنفسهم وصراع بين عنصري الدولة في المشرق، العرب والموالي الفرس. وإذا كانت الدولة العباسية قد أهملت المغرب ومن فيه، واتجهت للمشرق فإن الذين كانوا يمثلون المشاركة في الصراع هم الفرس.

= ما سيحدث في العالم من انقلاب سيء لخلوه من خليفة». انظر تاريخ الخلفاء ص ٣٠٩.

(١) كلود كاهن: تاريخ الشعوب الإسلامية ١/١١٧.



وأن نجاح الثورة ألزم العباسيين أن يفوا بما وعدوا به وأن يطبقوا شعار المساواة حيث وجد الموالي الفرس باباً مفتوحاً نحو مستقبل وأمل، فانساقوا فيه مؤثرين في الحياة الإسلامية. ويمكننا أن نرى في هذا التيار المؤثر في الحياة العباسية اتجاهين اتجاهاً متعاوناً أفاد منه العباسيون في مراحل الثورة الأولى وأوجدوا نوعاً من المشاركة سمح لهؤلاء الناس بأن يتقدموا في جميع النواحي الفكرية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية، واتجاهاً يميل إلى الهدم. فالارستقراطية من هذا القسم صارعت الخلافة في منصب الوزارة فصُرعت مرة بعد مرة، والعامة منه قاموا ضد الخلافة بحركاتهم الشعوبية وبالثورات الدينية.. وانتهى هذا الصراع بتحول الخلافة إلى عنصر آخر جديد هو الترك منذ خلافة المعتصم. كما قام صراع بين الطبقة الحاكمة المترفة التي تمركزت في العراق وبغداد وبين الطبقات المحكومة الفقيرة والمظلومة بقيادة الخوارج حيث مهد الجو في كثير من الأقاليم للانفصال عن الدولة العباسية، وصراع بين العقيدة الإسلامية والعقائد الفارسية وقد ظهرت بتأثيره الزندقة كما خرج الإسلام من الصراع بفلسفة المعتزلة وبعدد من الأفكار الدخيلة المارقة التي تجلت في الراوندية والخرّمية والبابكية وغيرها، وأخيراً صراع بين الحضارات المختلفة أدى إلى تمازجها مما جعل العصر ممتلئاً بالفعالية والخصب، حيث ظهرت الأسس الكبرى للحضارة الإسلامية.

وقد شهدت هذه الفترة نهضة علمية ونشاطاً ثقافياً مميزاً، وانتشرت الثقافة الإسلامية انتشاراً واسعاً، ففي أقل من نصف قرن من آخر الدولة الأموية إلى صدر الدولة العباسية كانت أغلب العلوم

قد دُوِّنت ونظمت، سواء في ذلك العلوم النقلية من علوم القرآن والحديث والفقه وأصوله، وعلوم اللغة والأدب على اختلافها، والعلوم العقلية من علوم الرياضة والمنطق والفلسفة والكلام. وكان نشاط المسلمين في ذلك كله يسترعي الأنظار ويدعو للإعجاب. وليس هناك من نشاط يشبهه إلّا نشاط العرب في فتوح البلدان. وقد تسابق العلماء في ساحة الميدان العلمي تسابق القبائل في الفتوح والغزوات. وساعد على هذه الحركة العلمية الواسعة والميل إلى تدوين العلم ونقله من المشافهة إلى الكتابة اتساع صناعة الورق.

ولم تقتصر هذه النهضة العلمية على بغداد العاصمة، بل ساهمت الولايات أيضاً بنصيب كبير في النهضة العلمية والثقافية وبناء الحضارة الإسلامية، وتنافس عمال هذه الولايات في تشجيع العلماء والفقهاء والشعراء على الرحيل إلى ولاياتهم والحياة فيها، وفي اغداق الصلات والعطايا عليهم، فتباروا في الانتاج العلمي والأدبي، وتنقلوا بين الولايات الإسلامية دون أن تعوقهم حدود سياسية أو عقبات. وفي حين احتفظت البصرة بمكانتها العلمية والأدبية حتى القرن الرابع، فقد شغل علماء بغداد في القرنين الثاني والثالث بعد الهجرة بنقل وترجمة العلوم الأجنبية إلى العربية، قبل أن يعنوا ابتداء من القرن الرابع بالعلوم الدينية واللغوية. كذلك أخذت عدة مدن في المشرق تنافس حاضرة الخلافة في تجميل موطنها بالعلماء والأدباء ومن أشهرها: أصبهان والري في فارس وقد نبغ منهما كثير من المحدثين والفقهاء والفلاسفة والأدباء. كما أخرجت كل من بخارى وسمرقند طائفة كبيرة من رجال الحديث والفقه أدوا خدمات علمية كبرى، وكانت

الحركة العقلية في الشام ومصر تسير بخطى واسعة نحو التقدم والارتقاء. وقد انتشرت الثقافة الإسلامية في هذا العصر انتشاراً واسعاً بفضل الترجمة من اللغات الأجنبية وخاصة من اليونانية والفارسية والهندية إلى العربية. ونضجت ملكات المسلمين أنفسهم في البحث والتأليف، ومن عوامل النهضة الثقافية والعلمية، إضافة إلى تشجيع الخلفاء والولاة، ظهور كثير من الفرق التي اتخذت الثقافة والعلم وسيلة لتحقيق مآربها السياسية والدينية وخير مثل لذلك ما نشاهده في الآثار التي خلفها المعتزلة وغيرهم وساعد ذلك كله على امتزاج الثقافات، فقد تثقف الفرس والهنود بثقافة عربية وانتجوا فيها، كما تأثر أهل الشام بالثقافة اليونانية. وشجع الخلفاء التنجيم لحاجتهم إليه، مما أدى إلى دراسة الطبيعيات والرياضيات والإلهيات. واقتبس العلماء المسلمون من الفلسفة اليونانية ونشطت حركة الترجمة من اليونانية إلى السريانية ومن السريانية إلى العربية.

ثانياً: تطور التأليف التاريخي

رافق الاهتمام بالتاريخ نشوء ونمو الحضارة العربية، والثابت أنه كانت للعرب قبل الإسلام معرفة تاريخية كانت من روافد الفكر التاريخي العربي بعد الإسلام. وهذه المعرفة اتخذت شكلاً يوافق الحقائق والظروف البيئية ويتسق مع درجة تطورهم الثقافي في ذلك الحين كما صيغت في أنماط تلبي حاجاتهم الثقافية الاجتماعية. لقد كان الفكر التاريخي العربي قبل الإسلام يسير في مسارين أساسيين: الأنساب، وأيام العرب، فضلاً عن القصص التاريخي أو شبه التاريخي الذي تناقله عرب الجنوب.

لقد استخدم العرب قبل الإسلام الأنساب باعتبارها نمطاً من المعرفة التاريخية تناسب ظروف التنظيم القبلي فقد حرصت كل قبيلة، باعتبارها الوحدة الأساسية على المستوى السياسي والاقتصادي والاجتماعي والأمني، على حفظ أنسابها حتى لا تختلط بأنساب غيرها من القبائل، ولكي تكون وسيلتها في التناصر على أعدائها والتفاخر بأبائها وأجدادها وقد أشار كل من النويري والقلقشندي إلى اهتمام العرب بالأنساب وتفاخرهم بها[1]. وكان لكل قبيلة نسّابتها المشهورون الذين حفظوا شجرات النسب عن ظهر قلب نظراً لأهمية النسب في حياة القبيلة[2]. والتقسيم على أساس النسب في المجتمع القبلي هو التقسيم الوحيد الممكن، فقد أفرز المجتمع القبلي التقسيم النَّسَبي على مستوى التنظيم الاجتماعي. كما أفرز نمط معرفة تاريخي يناسبه تمثل في «أنساب العرب». وهذا النمط كان يخلو عادة من الإشارة إلى الأحداث التاريخية التي لم تكن هدفاً للأنساب أو موضوعاً لها.

أما النمط الثاني من أنماط المعرفة التاريخية عند العرب قبل الإسلام، فقد تمثل في «أيام العرب» التي كانت تتضمن أخبار الحروب والمعارك التي خاضتها كل قبيلة. فهو السجل الذي يحوى

---

(١) النويري: نهاية الأرب في فنون العرب ٢/٢٦١، القلقشندي: صبح الأعشى ٢/٣٠٨ ـ ٣٠٩.

(٢) تبدو صلة النسّابين بالشعر الجاهلي واضحة جلية، إذ أننا نجد دائماً أن ذكر علماء النسب يجيء مقروناً بالشعر ورواياته، ويرتبط أيضاً بأيام العرب وأخبارهم انظر ـ ناصر الدين الأسد: مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية ٢١٥ ـ ٢١٦.

مفاخر القبيلة، ويسجل أيامها وانتصاراتها المجيدة، كما يحفظ بطولات أبنائها[1]. وكان رواة العرب يتداولون هذه الأيام في قالب شعري خالص أحياناً، أو في قالب نثري تتخلّله الأشعار أحياناً أخرى.

ولم يكن رواة «أيام العرب» يبحثون عن الحقيقة التاريخية، وإنما كانوا يتحدثون عن مآثر أسلافهم وبطولات قبائلهم وفقاً لتصورهم أو أمانيهم في رسم صورة مثالية للذات القبلية، ودون أن يقيدهم قيد سوى الرغبة في امتاع السامعين، ودغدغة مشاعر الزهو والفخر في نفوسهم. وعلى الرغم من المسحة الخيالية التي تغلف «أيام العرب» فلا شك أن هذه الروايات قد نسجت حول نواة من الأحداث التاريخية حقاً، فهي تكشف عن صلات العرب بغيرهم من الأمم قبل الإسلام، كما تكشف عن المشاكل والخلافات التي ميّزت حياة قبائل العرب في تلك الفترة من تاريخهم.

وإذا كانت «الأنساب» وسيلة القبيلة في البحث عن هويتها وتأكيد ذاتها من خلال شجرة النسب، فأن «أيام العرب» كانت بمثابة الأداة لتأكيد هذه الذات والهوية وتدعيم وجودها الحاضر من خلال ماضيها الحافل بالمآثر والبطولات. وعلى هذا فإننا إذا ما رجعنا إلى تراث العرب قبل الإسلام في مجال الفكر التاريخي لاكتشفنا إنهم

---

(١) عن أيام العرب، موضوعاتها واعدادها ومحاولات جمعها انظر صبح الأعشى ١/٣٩٠ ـ ٣٩٥. عبد العزيز سالم: تاريخ العرب قبل الإسلام ٣٧٤ ـ ٣٧٦، محمد أحمد جاد المولى ومحمد أبو الفضل إبراهيم: أيام العرب ويحوى أخبار أربعة وثمانين يوماً.

لم يتصوروا أنفسهم أمة واحدة يجمعها تراث تاريخي واحد، وقد انعكس ذلك على شجرات النسب التي اهتمت بالنسب الجزئي لكل قبيلة على حدة. وإذا كان العرب قد رجعوا في أصولهم العليا إلى جد أعلى ينتسبون له جميعاً، فأن الأسطورة قد تركت بصماتها على هذه المحاولات من ناحية، كما أن تراثهم قد خلا من أية مادة تاريخية تكشف عن تصورهم لذات كلية تجمعهم سوياً من ناحية أخرى. لقد افتقرت أيام العرب إلى معظم مقومّات العلم التاريخي بمفهومنا المعاصر، بيد أنها كانت نتاجاً حقيقياً وافرازاً للظروف التاريخية آنذاك، كما كانت متوافقة مع النظرة القبلية الجزئية التي جعلت من القبيلة عالماً قائماً بذاته في مواجهة القبائل الأخرى[1]. لقد ارتبطت قصص الأيام بفكرة البطولة أكثر من ارتباطها بفكرة التاريخ، ولذلك لم يكن منهج الرواية يسعى للبحث عن الحقيقة التاريخية، وإنما كان يسعى إلى صياغة الصورة المثالية لبطل القبيلة، أو أبطالها، وبالشكل الذي يحقق اشباع مشاعر الفخر ونوازع الكبرياء في أبناء القبيلة الذين كانت عيونهم وآذانهم تتعلق بالراوي في سمر الليل بين مضارب خيام القبائل. لقد كانت كل قبيلة تحاول تثبيت ذاتها في مواجهة القبائل الأخرى.

من ناحية أخرى، كان الوعي التاريخي لدى عرب الجنوب متوافقاً مع ظروفهم التاريخية الموضوعية ودرجة نموهم الحضاري من جهة، ومختلفاً عن الوعي التاريخي لدى عرب الشمال من جهة أخرى. فقد كانت بلاد اليمن مركز حضارة قديمة استقرت دعائمها

---

(١) عفت الشرقاوي: أدب التاريخ عند العرب ١/١٤٩ ـ ١٥٠.

أمداً طويلاً، وحفظت النقوش المعينية والسبئيّة والحميرية آثارها[1]، وقد انعكست هذه الحقيقة في تراث تاريخي اختلف عن تراث الشمال من حيث الشكل والمضمون والهدف. وكل ما وصلنا في هذا الصدد تراث تاريخي شفوي تداوله الرواة جيلاً بعد جيل. وفي طيات هذا التراث تتردد أسماء بعض ملوك اليمن القدماء، وتظهر أحداث قصص تاريخية غامضة طابعها التهويل والمبالغة تتصاعد منها أصداء أحداث تاريخية توارت خلف ضبابية الغموض[2]. وإلى جانب هذا التراث التاريخي الشفوي لدى عرب الجنوب وجد علماء الآثار بعض النقوش التاريخية التي دوّن فيها الملوك حروبهم وأعمالهم. وقد أشار الهمداني مؤلف كتاب «صفة جزيرة العرب» إلى هذه النصوص التاريخية، كما أشار إليها نشوان الحميري الذي ألّف معجماً لغوياً[3]، وكانت هذه النقوش تتضمن بعض المادة التاريخية المتعلقة بأسماء الآلهة، أو أنواع القرابين، أو أسماء القبائل والأفراد، كما تضمنت بعض المعلومات عن القوانين التي كانت تحكم علاقات الناس آنذاك[4].

لقد عرف الجنوب نظماً سياسية واجتماعية متقدمة نسبياً عن تلك التي عرفها عرب الشمال، كما أنهم خضعوا لنمط من الحكم الملكي فترة طويلة من تاريخهم، ومن ثم اتخذت الكتابة التاريخية

---

(١) عبد العزيز سالم: مرجع مذكور ١/٨٥ ـ ١٦٥.
(٢) هاملتون جب: علم التاريخ ص ٧٤.
(٣) كارل بروكلمان: تاريخ الأدب العربي ١/٦٣.
(٤) عبد العزيز سالم: تاريخ العرب قبل الإسلام ١/١٦.

أشكالا تناسب الظروف الموضوعية، فاهتمت الروايات التاريخية التي كان القصّاصون الجوالون يروونها عن الملوك وبطولاتهم وحروبهم، وهي القصص التي تناقلها الإخباريون العرب في صدر الإسلام، تعبر عن مدى وعي عرب الجنوب بفكرة التاريخ، ومن ثم اتخذت الكتابة التاريخية أشكالاً تناسب الظروف الموضوعية، فدور القبيلة في نشأة الكيانات السياسية في الجنوب كان هامشياً، ونظام الملكية الوراثية هو السائد، وهو شكل النظام السياسي ونمط التنظيم الاجتماعي. كما أن تراكم الثروة التي جلبتها تجارة العبيد أدت إلى القيام بمشروعات زراعية كبرى مثل سد مأرب. وظلت بلاد العرب الجنوبية تقوم بدورها الهام في نقل التجارة العالمية طوال عهود معين وقتبان وسبأ وحمير[1]. وقد أدى هذا الوضع السياسي والاقتصادي في جنوب شبه الجزيرة العربية إلى وجود وعي تاريخي أكثر شمولاً ورحابة من الوعي الجزئي الذي نجم عن الظروف التي فرضتها التقسيمات القبلية الحادة في نجد والحجاز. وقد ظل هذا التراث التاريخي لعرب الجنوب، الذي تختلط فيه الحقيقة التاريخية بالخرافة والأسطورة على نحو مربك ومحيّر، يدور على ألسنة الرواة الذين تناقلوه عن طريق الرواية الشفوية على مدى عدة أجيال على أنه التاريخ الوافي لبلاد العرب في العصور القديمة.

بعد ظهور الإسلام حدثت تغييرات جوهرية في حياة العرب انعكست على شتى نواحي الحياة. وكان لا بدّ لفكرة التاريخ أن

---

(١) محمود إسماعيل: سوسيولوجيا الفكر الإسلامي ١/٣٧ ـ ٤٠.

تخضع لهذه التطورات، فقد كانت الأفكار القرآنية عن التاريخ بؤرة التطور الذي شهده علم التاريخ من ناحية، كما كانت الظروف الموضوعية والتطورات السياسية والاجتماعية والثقافية حافزاً لهذا التطور وموجّهاً له من ناحية أخرى. وقد أدى هذا، بطبيعة الحال، إلى نقلة نوعية هامة وحاسمة في مناهج الدراسات التاريخية، وبنية علم التاريخ نفسه.

تجسد فكرة التاريخ في القرآن الكريم، على نحو ما توضحه الآيات ذات المضمون التاريخي، التصور الإسلامي لرسالة الإنسان في الحياة. فالإنسان حسب المفهوم الإسلامي، خليفة الله في الأرض، وقد تحمّل أمانة إعمار هذه الأرض وبناء الحضارة ونشر الحق والعدل في ربوعها وفق سِنّة الله[1]. وقد دعا القرآن الكريم المسلمين إلى التعرف على ذاتهم الحضارية في قوله تعالى: **﴿أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها، فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور﴾**[2]. هذه الدعوة إلى معرفة الذات يمكن للإنسان أن يحققها من خلال رصد الماضي الحضاري للبشر.

وهنا نلاحظ أن فكرة التاريخ في القرآن الكريم تقوم على أساس ان التاريخ فعل إنساني في التحليل الأخير، فالفعل التاريخي نتاج لتفاعل الإنسان مع بيئته في إطار الزمان، وهو أيضاً خير وسيلة لكشف ماهية الإنسان. ولذلك نجد المادة التاريخية في القرآن

---

(١) قاسم عبده قاسم: الرؤية الحضارية للتاريخ ص ٥٥ ـ ٥٧.

(٢) سورة الحجّ آية ٤٦.

الكريم تحكي قصة الأقوام والحضارات التي شهدتها مسيرة البشر عبر الزمان مثل قوم نوح وعاد وثمود. وقوم لوط ومدين وغيرهم [١]. بيْد أن هذه القصص التاريخية الواردة في ثنايا الآيات القرآنية ليست هدفاً في حدّ ذاتها، وإنما تهدف إلى إثارة الفكر البشري ودفعه إلى التساؤل والبحث عن الحق باستمرار[٢]. وقد أدى هذا إلى تطور هام في مناهج البحث التاريخي، إذ نزل التاريخ إلى عالم الواقع، وراح المؤرخون يبحثون في قصة الإنسان على الأرض. أي إن البحث التاريخي اهتم بالأحداث التاريخية التي صنعها البشر في بيئتهم، وداخل إطار زمانهم. وبدأ البحث التاريخي ينشد الحقيقة فاختفى تدخل الآلهة في مجرى العملية التاريخية لصالح القبائل والشعوب، كما تخلص التاريخ من شباك الأسطورة إلى حدٍ كبير، والتزمت الرواية التاريخية بإطار الزمان والمكان.

ومن ناحية أخرى، فرضت التطورات التاريخية التي لحقت بدار الإسلام استخدامات جديدة لعلم التاريخ في خدمة الحضارة العربية الإسلامية. ومثلما كان لفكرة التاريخ في القرآن الكريم أثرها في صياغة الفكر التاريخي على الصعيد النظري، كان للرغبة في تفسير آيات القرآن الكريم أثرها على الأشكال الأولية من أنماط الكتابة التاريخية، لقد كان أول تطور في الدراسات التاريخية تلبية لضرورة ثقافية اجتماعية ملحة في حياة المجتمع المسلم، هي

---

(١) انظر على سبيل المثال: سور الأعراف، هود، الأنبياء، المؤمنون، الشعراء، القصص.

(٢) عماد الدين خليل: التفسير الإسلامي للقرآن ص ١٠٦.

تفسير القرآن الكريم، والذي يعد ضرباً من ضروب البحث التاريخي على نحوٍ ما.

وهنا نجد الخطوات الأولى لمناهج البحث التاريخي تتعثر بين الرغبة في معرفة الحقائق والنقص الحاد في المعارف والمعلومات التي توصل إلى معرفة الحقيقة. وربما كان هذا هو السبب في أن رجلين هما «كعب الأحبار»، و«وهب بن منبه» قد استكملا هذا النقص بروايات خيالية من التراث العبراني والمسيحي. وقد ظلت رواياتهما مصدراً مشتركاً لكتب التفسير طوال عصور الثقافة العربية الإسلامية[1].

واللافت للنظر أن مناهج الجرح والتعديل في الحديث كانت تستهدف الحقيقة من خلال ضوابط نقدية صارمة. وقد كانت هذه المناهج من أهم روافد مناهج البحث عند المسلمين، فقد كان الرسول (صلعم) شخصية تاريخية عاش فترة تاريخية معلومة في حدود الزمان والمكان ومارس أفعالاً تاريخية تركت أثرها في تاريخ العالم. كما كانت أحاديثه موجّهة إلى الناس، وتناولها عدة رواة يحتمل فيهم الصدق، كما يحتمل الكذب. ومن ثم بدأ علم الحديث يستخدم منهجه النقدي خلال بحثه عن الحقيقة التاريخية وكانت تلك مرحلة هامة من مراحل تطور مناهج البحث في الدراسات التاريخية. لقد نبذت فكرة الركون إلى دور القوى الغيبية في صنع تاريخ البشر وتم التأكيد على مسؤولية الإنسان عن صنع تاريخه وبناء حضارته، بَيْد أن هذا لا يعني من ناحية أخرى، انعدام

(١) حسين نصار: نشأة الكتابة التاريخية في الأدب العربي ١٧٥ ـ ١٧٧.

العنصر الغيبي والأسطوري في الكتابة التاريخية. وبقيت الأساليب القديمة موجودة. وهذه سمة من سمات تطور مناهج البحث في الدراسات التاريخية وفي غيرها من العلوم، إذ أن تطور مناهج البحث يدخل في الخط العام لتطور العلم نفسه، ولكنه لا يقضي على الأساليب والنماذج والمناهج القديمة التي تظل موجودة، جنباً إلى جنب، مع المناهج الجديدة فترة من الزمن.

ومن ناحية أخرى، كان للاهتمام بالسيرة النبوية أثره في ظهور نمط آخر من أنماط الكتابة التاريخية هو «السيرة والمغازي» والتي كانت استجابة لحاجة ثقافية اجتماعية في المجتمع المسلم الذي أراد أفراده الوقوف على تفاصيل حياة الرسول (صلعم) وأفعاله التاريخية. وتنقلنا المغازي للمرة الأولى إلى الكتابة التاريخية بالمفهوم الحديث لأنها كانت تبحث في سيرة الرسول وغزواته وسراياه، وتجمع في الوقت نفسه أخبار الأحداث التاريخية الأولى التي واكبت قيام الأمة الإسلامية مثل الهجرة إلى الحبشة والمدينة ورسائل النبي إلى الحكام المعاصرين. وهذه كلها أخبار تاريخية اتخذت هذا النمط استجابة لحاجة المسلمين إلى معرفة أخبار الفترة التاريخية التي وضعت فيها اللبنة الأولى في حضارتهم، والتي شهدت انتشار الإسلام أيضاً، وكان لا بدّ من تغيير في منهج البحث والرواية لكي يناسب هذا التطور الجدي في ميدان الكتابة التاريخية. التي خطت خطوة أبعد من منهج علم الحديث في ضبط الرواية.

والواقع إن اعتناق العرب للإسلام لم يجعلهم يتخلون عن تراثهم في مجال المعرفة التاريخية قبل الإسلام، إذ أنهم احتفظوا

بالأيام والأنساب وقصص عرب الجنوب، لكنهم طوّعوها في خدمة الأغراض الثقافية والاجتماعية التي وجدت بعد الإسلام. ويمكن القول أن فكرة التاريخ قبل الإسلام قد اتخذت مفهوماً مغايراً بسبب التطورات التي جدّت على مناهج البحث وبنية العلم التاريخي نفسه بعد ظهور الإسلام[1]. وقد زاد نشاط علماء الأنساب منذ عهد الخليفة عمر مروراً بعهد الأمويين بسبب انشاء الدواوين ومصالح العصبيات من العرب المتنافسين[2]، وبسبب من احتفاظ العرب بالتنظيم القبلي أساساً للتنظيم الاجتماعي رغم خضوعهم لسلطة عامة. وقد أدت هذه الظروف إلى ازدهار علم الأنساب بعد الإسلام[3] إلّا أن الهدف من هذا النمط من المعرفة التاريخية لم يظل كما كان في الجاهلية، وهو ما أدى إلى تغيّر جوهري في منهج النسّابين الذين اهتموا برسم شجرات النسب، بصورة جامة، كي تخدم غاية أساسية هي تأكيد الأنساب، لما يترتب على هذا التأكيد من نتائج.

على أية حال، فإن موضوعات التاريخ في تلك المرحلة من تاريخ الثقافة العربية الإسلامية كانت تعالج أحداثاً دنيوية بحتة، فسيرة النبي (صلعم) ومغازيه ليست سوى أحداث تاريخية جرت

---

(١) حسين نصار: نفس المرجع ص ٢٢٢ ـ ٢٢٤.

(٢) جب: علم التاريخ ص ٥٠.

(٣) ازدهر علم الأنساب بعد الإسلام ولمعت أسماء كثيرة من النسّابة في العصر الأموي الذي شهد تمييز العرب على غيرهم من المسلمين. انظر: ابن قتيبة: المعارف ٥٣٤ ـ ٥٣٦، بروكلمان: تاريخ الأدب العربي ١/٢٥٣.

على أرض معروفة بحدودها الجغرافية في فترة تاريخية محدودة بحدود الزمان. وإذا كانت موضوعات التاريخ قد اختلطت بغيرها من الموضوعات، مثل الفقه والحديث، فالثابت أن جهود المحدثين والفقهاء كانت موجهة لحل مشكلات دنيوية على الصعيد الاجتماعي والاقتصادي والسياسي. بل إن فكرة القرآن الكريم عن التاريخ كانت تدور حول هدف دنيوي عملي هو تربية المسلمين وتعليمهم من خلال دروس التاريخ وما تحمله من عظة وعبرة. وإذا كانت فكرة العناية الإلهية بشؤون البشر موجودة في تراث الثقافة العربية الإسلامية بشكل عام، فالواضح في تراث الكتابة التاريخية أن العناية الإلهية لا تؤازر المسلمين لمجرد أنهم مسلمون، ولكنها تؤازرهم إذا كان فعلهم التاريخي في الدنيا قويماً متوافقاً مع أوامر الله، وإذا تنكبوا سواء السبيل حاق بهم البوار والخسران. ويعني هذا في التحليل الأخير، أن الإنسان مسؤول عن فعاله في الدنيا. ولقد كانت هذه النظرة ذات تأثير عميق على رؤية التاريخ باعتباره تجربة إنسانية، ممّا أثر بدوره على مناهج البحث التاريخي التي اهتمت بالأسباب الوضعية المفسّرة للظاهرة التاريخية.

من ناحية أخرى، كانت للتطورات التي شهدتها الفترة الباكرة من تاريخ المسلمين، سياسياً وعسكرياً واقتصادياً تأثيراتها الفكرية والاجتماعية البعيدة المدى. إذ استمرت حركة الفتوح الإسلامية في عنفوانها حوالي قرن من الزمان، ونتج عنها أن دخلت تحت راية الإسلام شعوب عريقة ذات أصول حضارية بعيدة. وقد أوجدت حركة الفتوح هذه نمطاً آخر من الكتابة التاريخية يهتم بفتوح البلدان بقصد التعرف على ظروف فتح كل بلد، صلحاً كان أم عنوة. وكان

هناك عدد من الإخباريين في كل بلد تخصصوا في جمع أخبار هذا البلد والروايات المتعلقة بفتحه، وتدوينها. وكان منهج أولئك الإخباريين بسيطاً يقوم على أساس الروايات المختلفة حول الحادثة التاريخية الواحدة دون محاولة للتحقيق أو التدقيق. ولأن عدداً من هذه الروايات كانت محلاً للتداول الشفهي حتى القرن الثالث الهجري على الأقل، فأن كتب الفتوح تحمل مشكلات كثيرة حول التواريخ والأحداث والأشخاص المشاركين فيها تحيِّر الباحثين حتى اليوم. وكان العيب المنهجي الناجم عن جمع الروايات دون تحقيقها سمة مشتركة بين كثير من هذه الروايات التاريخية حول فتوح البلدان.

كذلك أدى دخول الشعوب ذات الحضارات القديمة في الدين الإسلامي إلى تطور آخر في علم التاريخ ومناهج البحث فيه، إذ نشأت الحاجة إلى معرفة تواريخ هذه الشعوب قبل الإسلام مما أدى إلى بروز مجال جديد للكتابة التاريخية. وكانت تلك هي المرحلة التي مهدّت لظهور التواريخ المحلية حيث برز عدد ممّن تخصصوا في هذه الأخبار التاريخية التي تتناول الفترة السابقة على الإسلام، مثل محمد بن السائب الكلبي، وعوانه بن الحكم، وأبو مخنف الأزدي، وسيف بن عمر وغيرهم.

ومع بداية القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي) كان قد أصبح في متناول المؤرخين المسلمين كم هائل من المادة التاريخية التي خلّفها لهم كتاب السيرة النبوية والمغازي، ومؤلفو كتب الطبقات وكتب الفتوحات. كذلك ساعدت الظروف التاريخية على ازدهار المعرفة التاريخية وتعدد أنماط الكتابة، فضلاً عن تطور

مناهج البحث. ففي سنة ١٧٨ هـ تم في بغداد تأسيس أول مصنع للورق الذي حلّ بالتدريج محل الرق والبردي وغيرهما من مواد الكتابة التاريخية المعروفة آنذاك، ومن ناحية أخرى كانت دواوين الدولة تحفل بالوثائق والسجلات التي بدأت تدخل ضمن نسيج المادة التاريخية[1]، فضلاً عن أن بعض الخلفاء الأوائل كانوا يرون في التاريخ نوعاً من الثقافة السياسية كمعاوية بن أبي سفيان الذي كان يخصص شطراً من ليله للاستماع إلى قصص التاريخ التي تتناول أخبار الملوك والحروب والمكائد السياسية. ومن نتاج هذه المجالس ظهرت الروايات التاريخية المنسوبة لعبيد بن شرية[2]، وهكذا نرى أن عوامل كثيرة تضافرت لتمهد الطريق أمام التطور الهام الذي لحق بعلم التاريخ عند المسلمين منذ القرن الثالث الهجري فصاعداً، بحيث جاء ظهور الأنماط المختلفة من الكتابة التاريخية ظهوراً طبيعياً، ويمثل القرن الثالث مرحلة تطور هامة وحاسمة في تاريخ الثقافة العربية الإسلامية، وظهرت فيه المدارس الفكرية المختلفة في شتى أنحاء دار الإسلام. وتمثل الازدهار العلمي والفكري في مظهرين رئيسيين: السفر والرحلة في طلب العلم بين مختلف أنحاء العالم الإسلامي، وتعدُد المؤلفات التي كتبت في شتى فروع العلم والمعرفة، كذلك فأن السلام الذي تحقق في ظل وحدة دار الإسلام خلق جواً من الاستقرار انعكس على الروح الإبداعية في الحضارة الإسلامية وكان لا بدّ أن ينال

---

(١) قاسم عبده قاسم: الرؤيه الحضارية ٩٨ ـ ٩٩.

(٢) يقال ان عبيد بن شرية قد روى أخبار ملوك العرب وأيامهم، ووفد على معاوية ليروي له هذه الأخبار انظر: بروكلمان: تاريخ الأدب العربي ١/ ٢٥٠.



علم التـاريخ نصيبـه من هذا الازدهـار الـذي تمثـل في كثـرة عـدد المؤرخين ونمـو المادة التـاريخية وتـراكمها وتـطور منـاهـج البحث التاريخي، وتعدد اتجاهات التأليف التأريخي وأنماطه التي كـان كل منها استجابـة لحاجـة ثقافيـة اجتماعيـة فرضتهـا الظروف التـاريخية للعالم الإسلامي.

الفصل الثاني
التعريف بخليفة بن خياط

١ ـ سيرته ، حياته

هو خليفة بن خياط بن أبي هبيرة خليفة بن خياط الليثي العصفري الملقب ب« شباب » ويُكْنى بأبي عمرو . ولا نعلم سبب تلقيبه بشباب . أما عن نسبته العصفري ، فهي نسبة إلى العُصْفر وبيعه وشرائه[1] لم يتيسر لنا توضيح جوانب سيرته بشكل كاف . إذ لم تسعفنا المصادر التي بين أيدينا على تقدير معالم صورة حياة هذا المؤرخ الكبير ، فأخباره فيها نبذ يسيرة لا تفي بالقصد ، وما جاء عنه فيها لا يجاوز ذكر نسبه وسنة وفاته وعددَ شيوخه وتلاميذه .

من خلال هذه اللمحات اليسيرة يغلب الترجيح أن خليفة لم

---

(١) العُصفر مادة تصبغ بها الثياب لتصبح حمراء انظر البخاري : التاريخ الكبير ٢/١/١٧٦ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان ٢/١٥ ابن الاثير : اللباب في تهذيب الاسماء ٢/١٤٠ .

ينهد إلى الرحلة في طلب العلم ، أو لم يكن واسع الرحلة على أقل تقدير ، إنما اقتصر في التلقي على علماء البصرة بلده . ولعله لم يدخل بغداد قط ، إذ لم نجد له ذكراً عند الخطيب البغدادي في تاريخه . والبصرة في القرن الثالث كانت مركزاً من مراكز اشعاع الثقافة العربية الاسلامية ، ولا سيّما في ميادين اللغة والحديث والسيرة والتاريخ .

في هذا البلد الحضاري البنية ، العثماني في الهوى ، عاش خليفة وتعلّم ، وهو سليل اسرة علم ، فجدّه الذي كان يحمل اسمه هو من أهل الحديث الثقات عند البخاري وابن ابي حاتم الرازي . سمع الحديث عن عمرو بن شعيب وحميد الطويل ، وروى عنه محدثون كبار مثل عمرو بن منصور ، ووكيع بن الجراح وأبو الوليد الطيالسي[1] . وذكر البخاري أن مسلم حدّث عنه[2] ولعله مسلم بن ابراهيم الفراهيدي البصري أحد شيوخ البخاري (ت ٢٢٢ هـ)[3] .

وقد ذكر خليفة شباب في طبقاته جده فقال : « خليفة بن خياط مات سنة ستين ومائة ، ويُكنى أبا هبيرة . وهو جدي ، مات وشعبة في شهر »[4] أما والده خياط فقد كان من رواة الحديث أيضاً . وقد

---

(١) ابن أبي حاتم : الجرح والتعديل ١/٢/٣٧٨ ، ابن حجر العسقلاني : تهذيب التهذيب ٣/١٦١ .

(٢) البخاري : التاريخ الكبير ٢/١/١٧٥ .

(٣) الذهبي : تذكرة الحفاظ ١/٣٩٤ .

(٤) خليفة بن خياط : الطبقات ص ٢٢٢ .

روى عنه ابنه خليفة[1] وقد ساعد الوسط العلمي الذي نشأ فيه خليفة في بيته ومدينته على تنمية معارفه وتلقيه العلم عن الشيوخ الكثيرين في مدينته ، حيث أخذ عنهم علوم القرآن والحديث والانساب والأخبار ، وكان بين شيوخه عدد كبير من كبار المحدثين وفي طليعتهم يزيد بن زُرَيْع الذي كان خليفة ألصق به من سواه، ويزيد هذا من ثقات أهل البصرة مع ميول عثمانية كما وصفه ابن سعد[2] .

وقد روى عن خليفة كثيرون منهم محمد بن اسماعيل البخاري (ت ٢٥٦ هـ) في « الصحيح » و« التاريخ الكبير » ، وعبد الله بن أحمد بن حنبل ، وأبو يعلى الموصلي ، والحسن بن سفيان النسري ، وأبو محمد عبد الله بن أحمد بن موسى بن زياد الاهوازي الملقب « عبدان » وابراهيم بن عبد الله بن الجنيد الختلي ، وأبو بكر بن أبي عاصم ، ويعقوب بن شيبة والصغاني[3] .

وكذلك روى عنه بقيّ بن مخلد القرطبي وهو راوية تاريخ خليفة وقد وصلنا من روايته ، كما أنه روى عن خليفة كتابه الآخر الطبقات ، لكنه لم يصلنا من طريقه بل من رواية موسى بن

---

(١) التاريخ الكبير ٢٠٩/٢/١ ، الجرح والتعديل ٤٠٥/٢/١ .

(٢) عن قائمة شيوخ خليفة انظر ابن خلكان ١٥٠/٤/٢ ، الذهبي : ميزان الاعتدال ٣١٣/١ ، ابن العماد : شذرات الذهب ٩٤/٢ ، ابن سعد : الطبقات ٢٨٩/٧ .

(٣) الذهبي : تذكرة الحفاظ ٤٣٦/٢ ـ ٤٣٧ ، ابن خلكان : وفيات الاعيان ١٤/٢ ـ ١٥ .



زكريا بن يحيا التستري عن خليفة ، الذي نقل عن خليفة تأريخه أيضاً لكن روايته للتأريخ لم تصلنا . وقد اعتمد ابن عساكر عليه فيما نقله من تاريخ خليفة[1] .

٢ ـ عقيدته ومكانته الاجتماعية

عاصر خليفة انتعاش حركة المعتزلة في خلافة المأمون ، فوقف في صف خصومها بصراحة . ذكر وكيع أن بعض المعتزلة بالبصرة رفعوا شكوى على قاضيها أحمد بن رباح الذي تولى القضاء سنة ٢٢٣ هـ ، فأمر القاضي بالشخوص ، وشخص معه وجوه أهل البصرة منهم أبو الربيع الزهراني ، وحسين بن محمد الذارع ، وخليفة بن خياط وغيرهم[2] .

وهكذا وقف خليفة إلى جانب القاضي دون أن يخشى خصومة المعتزلة بالبصرة ، بل دون أن يرهب المأمون الذي كان صريحاً في اعتناق أراء المعتزلة والانتصار لها . وهذا الموقف يكشف بعض ملامح شخصية خليفة ويبيّن مدى صلابة عقيدته ، كما يوضح مكانته الاجتماعية في البصرة ، فلم يكن مغموراً بل من وجهاء المدينة كما تصرح عبارة وكيع السابقة وأنه ساهم ببعض الاحداث التي وقعت فيها ولم يكن منزوياً ، يدل على ذلك كثرة الشيوخ والتلاميذ الذين خالطهم ، فما كان ليتيسر له أن يجمع مادته المنوّعة من حديث وقراءة وأنساب وأخبار لولا روحه الاجتماعية وصلته بعلماء مدينته وسعيه في طلب العلم ثم في نشره بعد أن أصبح

---

(١) ابن عساكر : تاريخ دمشق ١٠/٩٢، ١١٣، ١٣٢ .

(٢) وكيع : اخبار القضاة ٢/١٧٥ .

علماً يقصده الطلاب ويأخذون عنه . وقد وردت أخبار عن زيارته لبعض الوافدين على البصرة من علماء الامصار الاخرى . حدّث عبد الرحمن بن رستة (ت ٢٤٦ أو ٢٥٠ هـ) قال : « قدمت البصرة فأتاني شباب العصفري فقال لي كيف تحفظ عن عبد الرحمن بن مهدي حديث البادىء بالسلم بريء ؟ فقلت : حدثنا عبد الرحمن قال حدثنا سفيان عن أبي اسحق. . . الحديث ، فقال فرجت عني فرّج الله عنك ، أنكروا ذلك عليّ »[1] .

وقول خليفة « فرّجت عني » يدل على ما كان يلاقيه أحياناً من مضايفة الاقران ، وإنكارهم عليه بعض رواياته . ولعل بعض ذلك كان يحدث بسبب الحسد والمنافسة في العلم حتى جرّ ذلك أحد معاصريه إلى تلفيق خبر عن علي بن المديني يغمز به خليفة .

٣ ـ منزلته عند ائمة علم الحديث .

ذكر البخاري في « التاريخ الكبير » خليفة بن خياط . دون أن يشير إلى تجريحه مما يدل على توثيقه له ، كما نقل عنه في صحيحه عدة أحاديث . وعلى هذا يكون ابن حجر العسقلاني واهماً في قوله « لم يحدث عنه البخاري إلاّ مقروناً ، وإذا حدّث عنه بمفرده علّق احاديثه »[2]، فقد روى البخاري في صحيحه عن خليفة في ثمانية عشر موضعاً[3]. في خمسة عشر منها كمتابع بتمام

(١) أبو الشيخ الانصاري : طبقات المحدثين باصفهان ٢/١٦٦ ـ ١٦٧ .

(٢) ابن حجر : تهذيب التهذيب ٣/١٦٠ ـ ١٦١ .

(٣) البخاري: الصحيح ٢/١٠٧، ١٨٦ و٤/٢٥١ و٥/١٤، ٤٧، ١٢٧، ١٣٤، ١٤٣ ، و٦/٢٢، و٧/١٣٨ و٨/٣٠ ـ ٨٣، ٣٠٢ و٩/٤٧، ٦٧، ١٤٣، ١٧٩، ١٩٦.

أو نقصان أو كمشاهد ، وفي ثلاثة منها منفرداً . وهذه الرواية دليل قاطع على توثيق البخاري لشيخه خليفة بن خياط . ووصف علي بن المديني وهو من ائمة علماء الجرح والتعديل خليفة بأنه شجر يحمل الحديث[1] وقد نسب محمد بن يونس الكديمي إلى علي بن المديني قوله «لو لم يحدث شباب لكان خيراً له» .

وادعى الفضل بن الحباب أنه كان عند أبي الوليد الطيالسي ، فجاءه شباب العصفري برسالة علي بن المديني يطلب منه أن لا يحدث يحي بن معين ، فغضب أبو الوليد وقال :
لِمَ لا أُحدثه ؟ . وقد ذكر ابن عدي الروايتين السابقتين وفنّدهما قال « إنما يروي عن علي بن المديني الكديمي ، والكديمي لا شيء ، وشباب من متيقظي رواة الحديث وله حديث كثير وتأريخ وكتاب في طبقات الرجال ، فكيف يوهّن بهذه الحكاية عن علي فيه ، وهو من أصحاب علي ، ألا ترى أنه حمله الرسالة إلى أبي الوليد في ابن معين سيما إذا كان الراوي عن علي ، محمد بن يونس وهو الكديمي ، فدلّ هذا على أن الحكاية عن علي باطلة . ولخليفة من الحديث الكثير ما يستغني أن أذكر له شيئاً من حديثه ، وهو مستقيم الحديث صدوق »[2] .

وقال أبو حاتم الرازي وقد سئل عن خليفة « لا أحدث عنه هو غير قوي ، كتبت من مسنده أحاديث ثلاثة عن أبي الوليد ، فأتيت

---

(١) ابن حجر : تهذيب التهذيب ٣/١٦١ .
(٢) سهيل زكار في مقدمة كتاب التاريخ لخليفة نقلاً عن الكامل لابن عدي ص هـ .

أبا الوليد وسألته عنها فأنكرها وقال : ما هذه من حديثي . فقلت كتبتهما من كتاب شباب العصفري ، فعرفه وسكن غضبه »[1].

وقال أبو محمد بن أبي حاتم الرازي : « انتهى أبو زرعه إلى احاديث كان أخرجها في فوائده عن شباب العصفري ، فلم يقرأها علينا ، فضربنا عليها وتركنا الرواية عنه »[2].

وابن أبي حاتم وأبوه من المتشددين في الجرح ، حتى أن البخاري صاحب الصحيح لم ينج منهما، وليس فيما حكيا ما يدل دلالة قاطعة على لين في خليفة ، ذلك أن أبا الوليد الطيالسي أنكر الأحاديث في البداية . ويقد يكون سبب ذلك أنه وجد في رجال الأحاديث من ينكر أمره . ثم سكت وسكن غضبه عند إعلامه أن الراوية عنه خليفة . وهذا يعني صدق خليفة في الرواية عنه . ولعله يعني أيضاً أن أبا الوليد قد روى الأحاديث في زمن مضى . ثم تبيّن له بعد ذلك من أمرها ما أنكره ، وهذا الأمر كثير الحدوث . ولا يعتقد أن الأمر يعدو هذه الحال ، ولو عداه لما سكن غضب الطيالسي ولنال من خليفة ووصفه بالادعاء أو الكذب .

٤ ـ ثقافته

يقول ابن خلّكان في ترجمته لخليفة « كان حافظاً عارفاً بالتواريخ وايام الناس عزير الفضل »[3]. وعنه يقول ابن الأثير « كان فاضلا

(١) الجرح والتعديل ١/٢/٣٧٨ ـ ٣٧٩.

(٢) الجرح والتعديل ٣/١/٤٠٤ .

(٣) وفيات الاعيان ٢/١٤ ـ ١٥ .

عارفاً بأيام الناس »[1]. وقال الذهبي عنه « الحافظ الامام أبو عمرو العصفري البصري المعروف بشباب ، محدّث نسّابة ، اخباري ، علّامة »[2]. ووصفه ابن كثير بأنه أحد أئمة التاريخ[3].

لقد شملت دراسة خليفة علوم القرآن والحديث والانساب والتاريخ ، فصنّف ي هذه العلوم جميعاً . كما اهتم أيضاً بعلم قراءة القرآن . وقد ترجم له أبو الخير الجزري مع القرّاء ، وقال : روى القراء عن ورقاء بن عمرو ، وأبي عمرو ، وأبي عمرو بن العلاء[4]. وروى القراءة عنه أحمد بن ابراهيم بن عثمان الورّاق والمغيرة بن صدقه[5]. وقد جرّه اهتمامه بالقراءة إلى الاهتمام بالقراء فصنّف في طبقاتهم .

٥ ـ مؤلفاته

ذكر ابن النديم أن لخليفة الكتب التالية[6]:

١ ـ كتاب الطبقات ٢ ـ التاريخ . ٣ ـ طبقات القراء ٤ ـ تاريخ الزمنى والعرجان والمرض والعميان ٥ ـ اجزاء القرآن واعشاره واسباعه وآياته .

---

(١) ابن الأثير اللباب في تهذيب الانساب ٢ / ١٤٠ .
(٢) الذهبي : تذكرة الحفاظ ٢ / ٤٣٦ .
(٣) ابن كثير : البداية والنهاية ١٠ / ٣٢٢ .
(٤) أبو عمرو بن العلاء من الاعلام في القرآن وهو أحد القراء السبعة : الفهرست ٤٨ .
(٥) أبو الخير الجزري : غاية النهاية في طبقات القراء ١ / ٢٧٥ .
(٦) ابن النديم : الفهرست ٣٣٨ .



أما السخاوي فقد ذكر لـه الكتابين الأولين فقط[1] . كـذلك فعـل الكتّاني بعده[2] . في حين أضاف اسماعيل البغدادي إلى قائمة كتبه السابقة كتاب « المسند في الحديث »[3] . وقد أشار إلى مسنده هذا ابن أبي حـاتم من قبـل بقـولـه « كتبت من مسنـده ثـلاثـة عن ابي الوليد »[4] .

ورغم مصنفـاته الستـة فقد عـرف بكتـابيـه الأولين « الـطبقـات » « والتـاريخ » فقـال ابن عدي « لـه تاريـخ حسن وكتاب في طبقـاب الرجال »[5] . وعـرّفه ابن خلكـان بـ« صاحب الـطبقات »[6] . وقـال الـذهبي : « صنّف التـاريـخ والـطبقـات »[7] . وقـال ابن العمـاد « صاحب التأريخ والطبقات »[8] . ولم يذكر السخاوي من مصنفـاته غير التاريخ والطبقات كما أشرنا ، كمـا لا نجد نقـولاً من مصنفاتـه الاخـرى في الكتب التاليـة إلاّ بعض احاديث المسنـد التي أوردهـا البخاري في الصحيح ، وإلاّ إشارة واحدة إلى طبقات القراء أوردها العسقلاني في ترجمـة سعيـد بن أبي الحسن البصـري حيث قـال :

---

(١) السخاوي : الاعلان بالتوبيخ ٦٠١ ، ٦٤٨ .
(٢) الكتّاني : الرسالة المستطرفة ١٣٩ .
(٣) البغدادي : هدية العارفين ١/ ٣٥٠ .
(٤) ابن أبي حاتم الرازي : الجرح والتعديل ١/٢/٣٧٨ .
(٥) ابن عـدي : الكامـل ١/٢٣/ب نقلاً عن مقـدمة د . سهيـل زكار للتـاريخ والطبقات ص هـ .
(٦) ابن خلكان : وفيات الأعيان ٢/ ١٤ .
(٧) الذهبي : تذكرة الحفاظ ٢/ ٤٣٦ .
(٨) ابن العماد : شذرات الذهب ٢/ ٩٤ .



« ذكره خليفة بن خياط في الطبقة الثانية من قرّاء أهل البصرة »[1].

ولم يصلنا من مصنفاته إلّا كتابيه اللذين عُرف بهما « الطبقات » و« التاريخ » .

٦ ـ وفاته

لا نعلم شيئاً عن والده ، لكنه لم يروِ عن جدّه ابي هبيرة المتوفي سنة ١٦٠ هـ ، مما يدل على صغره حين وفاة جده ، ولعله لم يكن قد ولد بعد . أمّا وفاته فقد اختلف فيها فقال مطين : مات سنة ٢٤٠ هـ[2]. كذلك قال محمد بن عبيد الله الحضرمي[3]. وذكر ابن كثير أنه توفيّ سنة ٢٤٠ هـ أيضاً[4]. وذكر ابن خلكان أنه توفيّ في شهر رمضان سنة ثلاثين ومائتين ، ونقل عن ابن عساكر أنه توفيّ سنة مائتين واربعين[5]. واختار البغدادي لوفاته سنة ٢٤٦ هـ ، ثم قال : وقيل سنة ٢٤٠ هـ[6]. وذكر الكتاني أن وفاته سنة ثلاثين وقيل سنة اربعين أو ست وأربعين ومائتين[7].

فوفاته إذاً في رأي المؤرخين أما أن تكون في سنة ٢٣٠ هـ ، أو ٢٤٠ هـ ، أو ٢٤٦ هـ . أما سنة ٢٣٠ هـ فوهْم لأنه يذكر في كتابه

---

(١) ابن حجر : تهذيب التهذيب ١٦/٤ .

(٢) الذهبي : تذكرة الحفاظ ٤٣٦/٢ ، ميزان الاعتدال ٣١٣/١ ، الصفدي : الوافي بالوفيات : ٢٥/٥ .

(٣) ابن حجر : تهذيب التهذيب ١٦١/٣ .

(٤) ابن كثير : البداية والنهاية ٣٢٢/١٠ .

(٥) ابن خلكان : وفيات الاعيان ١٤/٢ .

(٦) البغدادي : هدية العارفين ٣٥/١ .

(٧) الكتّاني : الرسالة المستطرفة ١٣٩ .

« الطبقات » من كانت وفاته سنة ٢٣٦ هـ ، كما وصل في كتابه الآخر « التاريخ » إلى حوادث سنة ٢٣٢ هـ ، فلا يمكن أن تكون وفاته إذا في سنة ٢٣٠ هـ . بقيت سنة ٢٤٠ هـ وسنة ٢٤٦ هـ ، والفرق بينهما ليس كبيراً ، وإن كان من المرجح أن وفاته كانت سنة ٢٤٠ هـ ، لأن ذلك قول القدماء القريبين من وقته ، وتبنّاه ابن عساكر والذهبي . أما تأريخ وفاته في سنة ٢٤٦ هـ ، فأقدم من ذكره ابن خلكان ، ولم يتبناه سوى البغدادي وهو متأخر .



الفصل الثالث
دراسة تحليلية لطبقات وتاريخ
خليفة بن خياط

أولاً: تاريخ خليفة بن خياط

يعتبر تاريخ خليفة بن خياط أقدم كتاب حولي ينشر باللغة العربية، وأهم وثيقة متميزة تتحدث عن مائتين واثنتين وثلاثين سنة من تاريخ الإسلام، حتى ثماني سنوات سبقت وفاة المؤلف.

١ ـ مخطوطة الكتاب

لم يعرف من مخطوطات تاريخ خليفة بن خياط سوى نسخة فريدة، لا ثانية لها، عثر عليها إبراهيم الكتّاني قيّم الخزانة العامة للمخطوطات في الرباط. وقد عرضت هذه المخطوطة النادرة في معرض مكتبة جامعة القرويين بفاس بمناسبة مرور مائة وألف سنة على تأسيس هذه الجامعة، والذي أُقيم سنة ١٩٦٠. وهي محفوظة في مكتبة الاوقاف في الخزانة العامة بالرباط تحت رقم ١٩٩، وتقع في جزء واحد يضم ٣٣٦ صفحة، وتشتمل الصفحة منها على واحد

وعشرين سطراً. وهذه المخطوطة مكتوبة بخط مغربي واضح لكن الرطوبة مسحت بعض الكلمات في الصفحة الأولى.

وقد جاء في الورقة الأخيرة ذكر اسم الناسخ وهو أحمد بن محمد الأشعري ويعود تاريخ كتبها إلى سنة ٤٧٧ هـ حيث ذكر «تم الكتاب بحمد الله وعونه في مستهل ذي القعدة سنة سبع وسبعين وأربع مائة بيد أحمد بن محمد الأشعري». وعليها مقابلة تمت في شهر ربيع الحرام عام تسع وسبعين وأربعمائة. ويبدو أنها عورضت على أكثر من نسخة أم، وبلغ من دقة صاحبها أنه أثبت في هوامشها ما وقف عليه من اختلاف بين النسخ. ويذكر أيضاً بعض الروايات المخالفة منقولة من كتب أخرى منها كتاب «نسب قريش» للمصعب الزبيري، وكتب الدارقطني، «وتاريخ البخاري» و«البيان والتبيين» للجاحظ وغير ذلك. ونجد أيضاً في هوامش النسخة شروحاً قليلة وتراجم لبعض الرواة.

وراوية تاريخ خليفة بن خياط هو بقيّ بن مخلد، أبو عبد الرحمن القرطبي الحافظ. ولد سنة ٢٠١ هـ وتوفي ٢٧٦ هـ[١]. وقد أخذ العلم عن شيوخ بلده ورحل إلى بلاد المشرق فأخذ عن علماء مصر والشام والعراق[٢]. وقد صنّف كتباً كثيرة لم تصلنا، منها مسنده في الحديث وقد رتّبه على أسماء الصحابة، ورتّب حديث كل صحابي على أبواب الفقه[٣]، وكذلك اشتهر كتابه في تفسير القرآن وقد قال

---

(١) ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق ٢٤٦/١٠. الذهبي: تذكرة الحفاظ ٦٢٩/٢، ٦٣١.

(٢) عن شيوخ بقي بن مخلد انظر: ابن عساكر ٢٢٠/١٠ - ٢٢٣، تذكرة الحفاظ ٦٢٩/٢.

(٣) ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق ٢٢٣/١٠.

فيه ابن حزم إنه لم يؤلّف مثله لا تفسير الطبري ولا غيره[1]. واشتهر أيضاً مصنفه في فتاوى الصحابة والتابعين ومن دونهم[2] وقد اتّبع بقيّ طريقة أهل الحديث في تقصي الأثر وبالغ في الجمع والرواية، وروى عن الأئمة وأعلام السنّة، يزيدون على المائتين. قبل أن يعود إلى الأندلس ويملأها علماً جماً.

التقى بقيّ بخليفة بن خياط وأخذ عنه العلم[3]، ونقل عنه تاريخه. وقد وصلنا تاريخ خليفة من روايته. ولم يكتف بقيّ بنقل نص تاريخ خليفة وإنما أضاف إليه بعض الروايات التي أخذها عن بعض شيوخه وهم محمد بن عبد الله بن نمير وهو من علماء الحديث بالبصرة، وقد نقل عنه بضع روايات مقتضبة تتصل بمقتل الحسين وثورة ابن الزبير وتواريخ بيعة بعض الخلفاء الأمويين. وفي سائرها لم يصرّح باسمه بل يقول «ابن نمير». لكنه ذكر اسمه كاملاً مرة واحدة[4]. كذلك أضاف بقيّ ثلاث روايات عن اسماعيل ابن عياش تتعلق بثورة ابن الزبير، وإكرام آل المهلّب في خلافة عبد الملك بن مروان[5].

إن معظم إضافات بقي إلى تاريخ خليفة أخذها خليفة من مصدرين، أولهما الليث بن سعد الذي نقل عنه بقيّ عن طريق

---

(١) ابن عساكر : نفس المصدر والصفحة .

(٢) ابن عساكر : نفس المصدر والصفحة .

(٣) ابن عساكر نفس المصدر والصفحة .

(٤) خليفة بن خياط : تاريخ ١/٣١٩ .

(٥) خليفة بن خياط : ص ١٥٩ ، ١٦٦ ، ١٧١ .

يحيى بن عبد الله بن بكير[1]. وكان مع بقيّ إثر زيارته العراق كتاب التاريخ لخليفة بن خياط فأضاف إليه ما سمعه في مجلس ابن بكير من روايات الليث بن سعد ومعظمها يتصل بأحداث مصر حيث عاش الليث بن سعد وبأحداث شمال افريقية خلال العصر الأموي، كما يتصل بعضها بأحداث بارزة في الشرق كمقتل الحسين وفتنة ابن الزبير. أما المصدر الثاني لإضافات بقيّ فهو محمد بن عائذ الدمشقي (١٥٠ -٢٣٣ هـ) الذي صنَّف في المغازي[2]، واهتم بما يتصل بالشام وأحداثها حيث أن معظم المقتطفات تتناول غزو المسلمين للروم خلال العصر الأموي، وقد أخذ بقيّ روايات محمد بن عائذ عن طريق بكار بن عبد الله بن بشر الذي سمع منه بقيّ بدمشق[3]. لكن ما أورده عنه في تاريخه لم يكن مما سمعه منه بدمشق، وهو يصرح بطريقة التحمّل فيقول «كتب إلي بكار بن عبد الله»[4].

٢ - طبعاته:

حقق الدكتور سهيل زكار مخطوطة الكتاب وصدر عن منشورات وزارة الثقافة والسياحة والإرشاد القومي في سوريا، وذلك في جزئين ١٩٦٦ - ١٩٦٨ كما قام في الوقت نفسه أكرم ضياء العمري

---

(١) محدث مصري كان صاحباً لليث بن سعد وعنده عن الليث ما ليس عند غيره انظر: الذهبي: تذكرة الحفاظ ٢/ ٤٢٠، ابن حجر العسقلاني: تهذيب التهذيب ١١/ ٢٣٨.

(٢) ابن حجر: تهذيب التهذيب ٩/ ٢٤٢.

(٣) تاريخ ابن عساكر ١٠/ ٢٢٠.

(٤) خليفة: التاريخ ١٣٧ (٢٧٨).

بتحقيق المخطوطة وصدر عن مطبعة الآداب في النجف سنة ١٩٦٧، في جزئين. وقد ساعد المجمع العلمي العراقي على نشره.

٣ ـ ظروف ودوافع تأليف تاريخ خليفة:

اهتم العرب منذ القديم بالتاريخ، وتدارسوا فكرته، وعنوا بأخبار الماضين وتناقلوها مراعين فيها تنسيقها حسب الزمان والمكان. وتتجلى هذه العناية والفهم والدراسة في العصر الجاهلي من اهتمامهم بالنسب والعلاقات النَسَبِيّة، وتناقلهم أخبار البطولات، وحفظهم للأيام والحروب التي قامت بينهم. أما في الإسلام فإن القرآن الكريم حث المسلمين في آيات كثيرة على وجوب دراسة أحوال الأمم الماضية لأخذ العبرة منها، وأورد قصص كثير من الإمم وموقفها من الدعوة إلى الهداية، والأنبياء وما لا قوه في سبيل بث دعواتهم. كما تضمّن أخبار كثير من الحوادث التي واجهت الرسول والمسلمين في مكة والمدينة آبان فترة النزول.

وكان تكون الدولة الإسلامية وتوسع حدودها وشمولها أقاليم كثيرة تضم شعوباً منوعة حافزاً للاهتمام بالتأريخ، فقد تدارسه بعض الخلفاء لأخذ العبرة منه أو لتوسيع مداركهم للنفس البشرية ومعرفة ما ينبغي الاهتمام به مما يجلب الخير والفلاح للأمة، واهتمت به القبائل التي أصبح كثير منها يقيمون في الأمصار التي يضم كلًّا منها عدداً كبيراً من القبائل الأخرى المتنافسة والمتخاصمة. ونظراً لتحريم الإسلام الغارات والقتل، فقد انصرفوا يعبّرون عن تفوقهم في المنافسة بالفخر في أمجادهم وأعمالهم العظيمة قبل الإسلام وبعده.

واقتضت إدارة الدولة معرفة أخبار فتوح البلدان لتقرير الضرائب الواجب فرضها على أهل تلك البلدان، كما أن استقرار الأمن والسلام وفّر للناس وقتاً كافياً من الفراغ جديراً بأن يملأ بالمباحث العقلية كالأدب والسياسة والقصص والتأريخ.

ولا يخفى أن انتشار السلم لا يعني زوال الحاجة إلى الجند، فقد ظلت الدولة بحاجة إلى المقاتلة، وكان من الضروري الحفاظ على جذوة الروح العسكرية وتقدير البطولة والفروسية، وكانت دراسة التأريخ مما يساعد على ذلك.

وكانت الحضارة العربية منذ أوائل عهودها حضارة إنسانية اجتماعية. فإن البدوي المعوز مادياً في البيئة الصحراوية الفقيرة القاسية، كان يعيش في مجتمع يهتم أفراده بأساليب الحياة البشرية ويعنون بالحياة الفكرية، مما ساعدهم على تفهم النفس البشرية وإدراك العلاقات الإنسانية وترسيخ تقاليد عظيمة. ومن مظاهر هذه الثروة اللغوية الهائلة والأدب الرفيع الذي وصلنا من عصور ما قبل الإسلام، أما إدراكهم العلاقات الإنسانية وتفهمهم النفس البشرية فأجلى مظاهره هو نجاحهم العظيم في إدارة الإمبراطورية الواسعة التي كوّنوها واستطاعوا بطريقة سلمية أن يبعثوا في أهلها الحيوية والنشاط، ويخلقوا فيهم التماسك، ويبثوا فيهم التعاون، ويحملوهم على تعلّم العربية واعتناق الإسلام.

وقد أدت إقامة الناس في الأمصار بعد استقرار الفتوح إلى نوع من العزلة في المجتمع العربي، وإلى ظهور التفاخر المحدود بأمجاد العشيرة أو المدينة التي يقيم فيها العربي، وأخذ التعصب

للمدينة يتوسع تدريجياً ويطغى على غيره، لا في ميدان السياسة فحسب بل في ميادين الفكر الأخرى، فأصبح الناس يميزون بين شعراء البصرة والكوفة، وبين فقه أهل المدينة وأهل الكوفة، وقلْ مثل هذا في النحو والحديث وغير ذلك.. وقد سرى أثر هذه النظرة الإقليمية إلى التأريخ، فألفت في القرن الأول والثاني عدة مؤلفات اقتصر بحث كل منها على حادث محلي، أو أعمال عشيرة واحدة، أو شخص واحد. وقد ارتفع البعض فوق هذا المستوى المحلي الضيّق إلى مستوى الاهتمام بأحداث المصر، فأصبحنا نرى مؤرخاً كوفياً، أو شامياً، أو حجازياً، يهتم كل منهم بدراسة الحوادث التي ساهم فيها المصر الذي اختص فيه، غير أنهم مع هذا احتفظوا بنظرة إنسانية شاملة لا تقتصر على جانب واحد من جوانب الحياة، بل تتسع إلى عدة جوانب.

غير أن طبيعة الإسلام وتكوين الدولة لم تنسجم مع العزلة المحلية المقفلة، فالإسلام دين عالمي يدعو الناس كافة للانضمام إليه، ويمنح معتنقيه المساواة التامة. ويعتبر الحج إلى بيت الله الحرام من أركانه الخمسة ومن الفرائض الإساسية التي ينبغي أن يؤديها الملسم. ولا يخفى أن أداء هذا الفرض يساعد المسلم على التنقل بين المدن، والاتصال مع المسلمين في مكة، مما يساعد على خروجه من عزلته الضيّقة.

ثم إن الدولة الإسلامية نشرت الأمن والسلم في ربوع الشرق التي انتشرت فيها وأزالت الحواجز والقيود المعوقة للتنقل، واعتنقت مبدأ الحرية في العقيدة والتنقل والعمل، فازدهرت التجارة، وظهرت مراكز اقتصادية جديدة جلبت المهاجرين إليها، وهكذا

نشطت حركات الهجرة بين الأقاليم. ثم أن مقتضيات الإدارة كانت تتطلب نقل الجند من منطقة إلى أخرى بصورة وقتية أو دائمة، كما كانت تتطلب تبديل كبار موظفي الإدارة، وكثيراً ما كان يرافق الوالي الجديد مجيء عدد من أفراد عشيرته ومؤيديه ليستعين بهم، وليفيدوا منه.

وقد أدى كل هذا إلى نشاط حركة التنقل، وإلى انتعاش الفكرة العالمية، وتوسع دائرة اهتمام بعض العلماء والمؤرخين الذين لم يقصروا اهتمامهم على دراسة حادثة أو شخص أو عشيرة أو مدينة، بل شملت دراستهم العالم الإسلامي كله. ومن البديهي أن تكون هذه النظرة العالمية الشاملة متوفرة عند المهتمين بدراسة الإسلام وعلومه نظراً لأن الإسلام دين عالمي بطبيعته، واسع الانتشار بواقعه. وقد أدى هذا الاقتران بين المهتمين بعلوم الدين والمؤرخين العالميين إلى اختلاط أساليب البحث المضنية، فأخذ كثير من المؤرخين فكرة الإسناد التي كان يهتم بها أهل الحديث الذين هم ألصق بالعلوم الدينية.

وتختلف كتابة التأريخ العام عن كتابة حادثة محلية أو الترجمة لشخص واحد، حيث أن كتابة التأريخ المحلي تتطلب إيراد كافة التفاصيل والجزئيات ولا تستلزم تقدير أهمية كل جزئية. أما في التاريخ العام، فإن المطلوب من المؤرخ أن يورد المهم من الأخبار والحوادث، أي أن عليه أن يتخيّر بعض الأخبار الصحيحة ويوردها. وهذا يقتضي منه، فوق كونه مطّلعاً على الصحيح من الأخبار، أن يكون قادراً على فهم التيار العام لمجرى الحوادث، وتقدير الأمور المهمة وتمييزها عن التافهة، وإيراد المهم دون

التافه. ولا يخفى أن هذا يتطلب إدراكاً عميقاً وفلسفة واضحة، فإذا كانت ميزة المؤرخين القدماء هي في كونهم أقرب إلى الحوادث، فإن ميزة المؤرخين العالميين هي أنهم في ترتيب وتنظيم كتبهم يعبرون بطريقة غير مباشرة وبصورة عملية عن فلسفتهم في سير البشرية، وتقديرهم للمهم من الحوادث.

لقد ألف المسلمون في القرنين الأول والثاني الهجريين عدداً كبيراً من الكتب في أحداث محدودة أو تواريخ عامة. هذا التراث التاريخي أفاد منه مؤرخو القرن الثالث والقرون التالية وخاصة الطبري في كتابه «تاريخ الرسل والملوك». ورغم أن هذا الكتاب مفصل واحتفظ فيه الطبري بأسانيد الروايات التي يذكرها، بحيث بهر به الناس فاكتفوا في كثير من الأحيان لدراسة القرون الأولى، بل حتى المؤرخين المتأخرين قصروا، كلهم أو أكثرهم، عملهم على نقل مادة الطبري حرفياً أو بشيء من الاختصار. غير أن كتاب الطبري بالرغم من المميزات المتوفرة فيه والمكانة العظيمة التي شغلها بين المؤلفات التاريخية، وبالرغم من غزارة المادة المتوفرة فيه، فأنه لم يعدم قيمة المؤلفات التاريخية الأولى لعدة أسباب أهمها أنه لم يستوعب كل المادة الموجودة في الكتب التي سبقته، فقد تخيّر بعض الكتب دون غيرها، ومن كل كتاب بعض المادة لا كلّها. كما فصّل في حوادث دون أخرى واعتمد على رواة دون آخرين، كما اهتم بالأحداث السياسية دون الإدارية مما جعل هذا الكتاب لا يغني عن معرفة الكتب التاريخية العربية الأقدم، والتي هي أقرب إلى عهد الحوادث، وأفق نظر أصحابها أوسع، ومجالات اهتمامهم أكثر شمولاً، كما أنها في تنظيمها تعبر عن فلسفتهم

الخاصة. ويأتي في مقدمة هذه الكتب تاريخ خليفة بن خياط الذي هو أقدم تاريخ كتاب في التاريخ الإسلامي العام مرتب على الحوليات، ويقدم معلومات عن شمال افريقيا ووقعتي الحرة والزاوية لا غيرها في غيره من المصادر. كما يبدي اهتماماً خاصاً بذكر قوائم أسماء الشهداء في الغزوات والوقائع المهمة. كذلك يهتم بذكر جداول بأسماء الولاة ومن كان على الشرط وبيت المال والخزائن وغير ذلك من الوظائف الإدارية مما يعطي هذا الكتاب أهمية خاصة بين مصادر التاريخ الإسلامي.

٤ ـ مصادر تاريخ خليفة بن خياط:

ـ محمد بن إسحق (ت ١٥١ هـ):

كتب خليفة عن سيرة الرسول ﷺ فصلاً قصيراً اعتمد فيه بالدرجة الأولى على محمد بن إسحق من رواية بكر بن سليمان[١]، ووهب بن جرير بن حازم[٢] الذي أخذ سيرة ابن هشام عن أبيه جرير بن حازم، وقد أغفل خليفة النقل عن زياد بن عبد الله

---

(١) بكر بن سليمان أبو يحي البصري الأسود، سمع محمد بن اسحق وروى عنه خليفة بن خياط، سكت عنه البخاري، وقال أبو حاتم هو مجهول انظر: البخاري: التاريخ الكبير ١/٢/٩٠ ابن ابي حاتم الجرح والتعديل ١١٠/١٧٨.

(٢) وهب بن جرير بن حازم الحافظ أبو العباس الازدي أحد المحدثين الاثبات: تذكرة الحفاظ ١/٣٣٦، تهذيب التهذيب ١١/١٦ خليفة: التاريخ ٧٧٠.

البكائي الذي نقل عنه ابن هشام[1] السيرة النبوية لابن إسحق، حيث وصلتنا روايته بعد أن هذّبها ابن هشام، وليس ذلك لأنه لا يعرف البكائي فقد نقل عنه رواية في التاريخ بلفظ «أخبرنا»[2]. لكن هذه الرواية الوحيدة التي صرّح فيها خليفة بنقله عن البكائي ليست مما رواه البكائي عن ابن إسحق. وبين رواية بكر بن سليمان ورواية البكائي التي وصلتنا بعض الاختلافات في تواريخ بعض أحداث السيرة مثل تاريخ صرف الكعبة، وتاريخ عودة الرسول ﷺ من بدر الأولى، وتاريخ غزوة ذي قرد.

وقد شملت مادة ابن إسحق عند خليفة سائر الأحداث الهامة المتعلقة بالسيرة النبوية بإيجاز. فقد قام خليفة باختصار روايات ابن إسحق فأعطى هيكل السيرة دون تفصيل.

كذلك نقل خليفة عن ابن إسحق روايات تتعلق بالردة والفتوحات الإسلامية في زمن الخلفاء الراشدين، ولعل هذه النقول مأخوذة من كتاب ابن إسحق «تاريخ الخلفاء»[3].

وقد جمع خليفة بين أسانيد بكر بن سليمان ووهب بن جرير في عدة أماكن، في حين اكتفى في أماكن أخرى بقوله «قال ابن إسحق» دون أن يذكر إسناده.

---

(١) عبد الملك بن هشام المصنف المصري المتوفي سنة ٢١٨ هـ/٨٣٣ م، عن طريقه وصلت إلينا رواية محمد بن اسحق عن السيرة النبوية بإيجاز.

(٢) خليفة بن خياط: التاريخ ١٠.

(٣) ابن النديم: الفهرست ص ١٤٢.

ومما يجدر ذكره أن اعتماد خليفة فيما نقله عن ابن إسحق في أخبار الردة والفتوح كان على بكر بن سليمان، ولم يسند إلى وهب في أخبار الخلفاء إلّا رواية واحدة، ممّا يرجح أن بكر بن سليمان روى عن ابن إسحق كتابه «أخبار الخلفاء» كما روى عنه «السيرة النبوية».

- وهب بن جرير بن حازم:

لم يكن وهب بن جرير بن حازم مجرد راوية لسيرة ابن إسحق التي أخذها عن أبيه جرير بن حازم، بل كان مهتماً بجمع الأخبار عن أبيه وعن شيوخه الآخرين، وقد نقل عنه خليفة أخباراً تتعلق بمعركة الجمل ووقعة الحرة، وحركات الخوارج في البصرة، وذكر خلالها بعض خطط البصرة حيث دارت المعارك، ويعطي في رواياته عن هذه الأحداث تفاصيل جيدة. وقد نقل ابن سعد عن وهب بن جرير كثيراً في كتابه «الطبقات الكبرى». وتتناول روايات وهب هناك أخباراً تتصل بالسيرة النبوية، خاصة ما يتعلق بشمائل النبي ﷺ، وبعبارته مما له صلة بالفقه. كما يتناول بعضها أخبار العلماء والمحدثين من شيوخه كشعبة بن الحجاج، أو من سبق شيوخه كسليمان التيمي[1] أو شريح القاضي وغيرهم. ومعظم هذه الأخبار ينقله عن شعبة بن الحجاج حيث أكثر الرواية عنه. ومن

(١) هو سليمان بن طرخان أبو المعتمر التيمي البصري، محدث ثقة من طبقة التابعين له كتاب (السيرة الصحيحة) ، فقدت إلا سبع وسبعون صفحة نشرها فون كريمر في آخر كتاب المغازي للواقدي : انظر ترجمته في ابن حجر : تهذيب التهذيب ٢٠٢/٤ وكذلك حسين نصار : نشأة التدوين التاريخي عند العرب ص ٥٢ .

ذلك يتبين أن وهب كان محدثاً، وأن اهتمامه بالحديث جرّه إلى الاهتمام بالمحدثين وأخبارهم. كما جره إلى الاهتمام بمواقفهم من الأحداث وخاصة الفتن التي قد تعين في تحديد عقائد رواة الحديث وميولهم.

ـ أبو معشر (ت ١٧٠)[1]:

نقل خليفة عن أبي معشر قائمة بأسماء بعض شهداء اليمامة مرتّبين على القبائل، وكذلك خبراً في السيرة ورواية في النسب، والراجح أن خليفة نقل ذلك من كتاب المغازي لأبي معشر. وهو يسند الرواية إليه بقوله «قال أبو معشر» إن اعتماد خليفة على أبي معشر يبدو ضئيلاً فلم يعتمده كثيراً فيما كتبه عن السيرة.

ـ علي بن محمد المدائني[2] (ت ٢٢٥ هـ):

وهو من شيوخ خليفة. نقل عنه في التاريخ مباشرة وبنطاق واسع. وقد اعتمده في السيرة إلى جانب ابن إسحق الذي كان مصدره الأول في السيرة النبوية. ولقد كتب المدائني في السيرة بشمول لا نجده عند غيره، فابن إسحق اختص بكتابة المغازي، في حين كتب المدائني عن جوانب أخرى من سيرة النبي ﷺ، مثل كتاب أمهات النبي، كتاب صفة النبي، كتاب أخبار المنافقين،

---

(١) أبو معشر السندي المدني الفقيه صاحب المغازي هو نجيح بن عبد الرحمن مات ١٧٠ هـ الذهبي : تذكرة الحفاظ : ١/ ٢٣٤ ـ ٢٣٥ .

(٢) عن المدائني ودوره في الكتابة التاريخية انظر : عبد العزيز الدوري . نشأة علم التاريخ عند العرب ٣٨ ـ ٣٩ . مارغليوت : دراسات عن المؤرخين العرب ٩٩ ـ ١٠٤ .

كتاب عهود النبي، كتاب رسائل النبي، كتاب اقطاع النبي، كتاب أزواج النبي، كتاب عمال النبي على الصدقات [1]. غير أن المؤرخين طمسوا معلوماته فلم يعتمدوا عليه في السيرة [2]، وحتى خليفة لم ينقل عنه في السيرة إلّا ما يتعلق بالمغازي، وكذلك فأن المقتطفات التي أوردها خليفة عن المدائني شملت عصر الراشدين حيث ركزت على حركة الردة وفتوح خراسان والمشرق، كما شملت العصر الأموي والعباسي حيث ركزت على حركات الخوارج بمكة والمدينة وخراسان. كما أن بعض هذه المقتطفات يتصل بأخبار لها علاقة بالبصرة مثل موقعة الجمل وثورة ابن الأشعث وظهور الطاعون بالبصرة سنة ١٣١ هـ.

ومن ملاحظة قائمة مؤلفات المدائني التي أوردها ابن النديم يتبيّن لنا شمول دراساته وتنوع أخباره التي شملت إلى جانب السيرة عصر الراشدين والأمويين والعباسيين، فقد ألف في الفتوح وأخبار الخلفاء.

ـ أبو عبيده معمر بن المثنى [3] (ت ٢٠٩ هـ):

اهتم أبو عبيدة بالأخبار إلى جانب اهتمامه باللغة والأنساب، وقد ركز في كتبه التي صنّفها في الأخبار على أخبار المشرق حيث ألّف

---

(١) انظر من هذه المصنّفات وغيرها من مصنّفات المدائني في السيرة: ابن النديم: الفهرست ١٥٣ ـ ١٥٨.

(٢) صالح العلي: المؤلفات العربية عن المدينة والحجاز ١٦.

(٣) عن أبي عبيدة ودوره في الكتابة التأريخية انظر: الدوري: نشأة علم التاريخ عند العرب ٤٤.



كتباً في أخبار الفرس، كما اهتم بـالبصرة وفتـوحها فـألّف في فتوح الأهواز وخراسان، كما ألّف في فتوح ارمينيه.

وقد أولى الخوارج عنـاية كبيـرة، فألف كتـاباً عنهم، وقـد اتهمه ثعلب بأنه كـان يرى رأي الخـوارج[1]. وقد اعتمـد خليفة على أبي عبيدة في الأخبار فنقل عنه في تـأريخه من طـريق محمد بن معـاوية راويـة أبي عبيدة. وتـركز المقتـطفـات التي أوردهـا خليفـة عن أبي عبيـدة على أخبار الفتـوح في المشرق، كمـا تتناول بعض أحـداث البصرة وحركات الخوارج فيها[2]، وهي مواضيع اهتم بها أبـو عبيدة كثيراً وأفرد لها مؤلفات خاصة.

- هشام بن الكلبي:

اعتمـد خليفة على ابن الكلبي فيمـا يتصل بعـلاقـات الملسمين بـالروم خـلال عصـر الـراشـدين والأمـويين، فقـد اهتم ابن الكلبي بأخبار الخلفاء وألّف كتباً في ذلـك، كما ألّف كتـاباً في «التـاريخ». ولعل المقتطفات التي أوردها خليفة عنه هي من هـذا الكتاب، ففي سائر النقول أسند الكلام إلى ابن الكلبي بقولـه «قال ابن الكلبي»، ولم يصرّح بلقياه به وأخذه عنه مباشرة إلاّ مرة واحدة[3]، وإنما ذكـر خليفة ذلك ليشيـر إلى لقياه بـه وأخذه عنـه، وهي طريقـة يستعملها عادة المحدثون.

---

(1) ابن النديم: الفهرست ٨٥.

(2) نقـل البلاذري عن أبي عبيـدة أخباراً تتعلق بـالخـوراج في البصـرة انـظر: انساب الاشراف ٥/١٠١ - ١١٢.

(3) خليفة بن خياط: التأريخ ٨٦.

ـ أبو اليقظان سحيم بن حفص (ت ١٩٠ هـ):

أحد شيوخ خليفة الذين اعتمدهم بصورة أساسية في التأريخ والطبقات. وقد اهتم بالأنساب والأخبار وصنّف فيهما. وتتناول المقتطفات التي ذكرها خليفة عن أبي اليقظان في التأريخ فتوح المشرق، وموقعة الجمل، وموقعة دير الجماجم، وهي مواضيع قدّم فيها أبو اليقظان معلومات مفصّلة إذ دارت رحاها في البصرة حيث عاش أبو اليقظان، ومن ثم نجده يذكر بعض خطط البصرة حيث دارت رحى بعض المعارك، كما أن بعض المتقطفات تناولت معلومات تتصل بالإدارة كذكر أسماء من كان على الشرط بالبصرة والكوفة وواسط، وكذلك أسماء ولاة العراق في العصر الأموي، وذكر سني وفيات الخلفاء ومحل وفياتهم، وأحياناً ولادتهم. وهذه المواضيع هي التي اهتم بها أبو اليقظان كثيراً حيث ركز على أخبار الأمويين، وعلى ما يتعلق بالبصرة من أحداث[١].

ـ الوليد بن هشام القحذمي:

نقل خليفة عن الوليد بن هشام في التأريخ بصورة مباشرة. ومعظم ما أورده عنه أخذه الوليد عن أبيه عن جدّه، وجدّه يدعى قحذم بن سليمان بن ذكوان مولى ابي بكرة الثقفي، ويقال إنه مولى عمرو بن العاص أصله من سبي أصبهان[٢]. وكان كاتب الخراج في أيام يوسف بن عمر الثقفي[٣]، ومن ثم فقد اهتم بجمع

(١) كان أبو اليقظان مصدراً أساسياً من مصادر خليفة في كتاب «الطبقات».
(٢) خليفة بن خياط: التأريخ ٨٧.
(٣) خليفة بن خياط: التأريخ ٢٤٩.

المعلومات المتعلّقة بالإدارة، ولعل عمله قد سهل له الإفادة من الوثائق الرسمية. وتتناول رواياته الفتوح الإسلامية في العراق والمشرق والشام ومصر في عصر الراشدين، ويهتم ببيان طبيعة الفتح أهو عنوة أم صلحاً لما يترتب على ذلك من تحديد العلاقة بالبلاد المفتوحة، كما ذكر أحياناً مقدار الجزية المفروضة عليها.

وكذلك اهتم كثيراً بذكر ولاة العراق في العصر الأموي ومن كان على شرطهم بالبصرة والكوفة وواسط، وكذلك من كان على الخراج أو الرسائل أو الجباية. وقد سجّل قحذم أعصار الخلفاء وسني وفياتهم ومواضعها وأحياناً سني ولادتهم ومواضعها.

وقد عاش قحذم إلى ما بعد خلافة أبي جعفر المنصور حيث روى عنه الوليد سنة وفاة المنصور سنة ١٥٨ هـ[١].

إن اعتماد خليفة على مصادر لها صلة بالدواوين يفسر لنا اهتمامه بأمور الإدارة هذا الاهتمام الذي فاق اهتمام المؤرخين الآخرين والمتأخرين. وقد نقل الطبري[٢] عن الوليد ابن هشام نصوحاً لم يأخذها عن جدّه قحذم بل عن رواة آخرين، وبعض هذه الروايات تتصل بالبصرة كمحاسبة الحجاج لأسرى دير الجماجم، أو هرب ابن زياد من البصرة. كما يتناول بعضها لآخر الأحداث البارزة في خلافة المنصور.

ـ عبد الله بن المغيرة:

نقل خليفة مباشرة عن عبد الله بن المغيرة الذي كان أبوه المغيرة

---

(١) خليفة بن خياط: التاريخ ٢٩٦.

(٢) الطبري: تاريخ الرسل والملوك ٦٤٨/٣ مثلاً.

مصدر معلوماته. ويبدو أنه كان للمغيرة صلة بالدواوين، وقد عاش إلى ما بعد وفاة موسى الهادي حيث سجل سنة وفاة الهادي. وتناولت رواياته فتوح الشام ومصر والمشرق ويهتم ببيان طبيعتها أصلحاً أو عنوة ويذكر شروط الصلح وأحياناً مقدار الجزية التي فرضت عليهم.

وكذلك اهتم بذكر ولاة العراق ومن كان على شرطهم وكتّاب الرسائل والحجاب كما اهتم بذكر سني وفيات الخلفاء ومواضعها وأعمارهم وأحياناً سني ولادتهم ومحلها.

ـ عبد الله بن لهيعه (ت ١٧٤ هـ):

لم ينقل خليفة عن ابن لهيعة مباشرة، بل عن طريق تلاميذ ابن لهيعة. وفي معظم النقول قال: «حدثني من سمع ابن لهيعة»، وسائر المقتطفات التي أوردها عنه متعلقاً بفتح مصر وشمال وافريقية وبيان طبيعة الفتح أصلحاً أم عنوة، فقد عاش بمصر وتولى قضاءها في خلافة المنصور[1].

ـ أبو خالد البصري (ت ١٩٠)[2]:

هو يوسف بن خالد بن عمير السمتي أبو خالد البصري أحد شيوخ خليفة بن خياط. وقد ذكره خليفة في التاريخ بكنيته ولم يُسمّه. وقد اهتم أبو خالد بأخبار شمال أفريقية في العصر الأموي

---

(١) هو أبو عبد الرحمن عبد الله بن لهيعة بن عقبة الحضرمي الغافقي (٩٦ ـ ١٧٤هـ/ ٧١٥ ـ ٧٩٠ م) أحد مشاهير قضاة مصر من قبل المنصور من ١٥٥ ـ ١٦٤/ ٧٧١ ـ ٧٨٠ انظر الكندي: الولاة والقضاة ٣٦٨ ـ ٣٧٠.

(٢) انظر ترجمته في ابن حجر: تهذيب التهذيب ١١/ ٤١١.



فذكر غزو المسلمين لصقليّة وسردانية وحصار جلولاء بالمغرب في خلافة معاوية بن أبي سفيان وحركات الخوارج هناك. وسائر هذه الروايات لم يسندها أبو خالد لأحد. أما رواياته الأخرى فقد أخذ معظمها عن أبي البراء النميري، وبعضها الآخر عن أبي الخطّاب الأسدي، وهي تتناول فتوح الأمويين في المشرق وقتالهم للخزر والترك. وأشارت إحدى الروايات فقط إلى عصر الراشدين. فأبو خالد ركّز اهتمامه على أخبار العصر الأموي.

ـ اسماعيل بن ابراهيم الشعيراوي العتكي:

نقل عنه خليفة في التاريخ مباشرة، وقد اهتم بتفصيل أخبار الفتنة زمن الوليد بن يزيد كما سرد خطبة يزيد بن الوليد كاملة بعد مقتل الوليد، وكذلك اهتم بأخبار الخوارج في العراق والحجاز ففصل أخبار وقعة قديد قرب المدينة، كما فصّل حركات الضحاك الخارجي في الجزيرة الفراتية.

ـ اسماعيل بن إسحق:

نقل عنه خليفة مباشرة بقوله «حدثنا»[1]، وقد اهتم بأخبار الخوارج ففصل في أخبار الضحّاك الخارجي وأخبار أبي حمزة بالحجاز.

ـ الأصمعي:

عَرَف خليفة بن خياط الأصمعي، فقد نقل عنه بلفظ «حدّثنا»[2]. ولكن خليفة لم يكثر النقل عنه بل نقل عنه في موضع واحد من الطبقات وثلاثة مواضع من التاريخ.

---

(١) خليفة : التأريخ ٢٦٤ .

(٢) خليفة : التاريخ ٨٣ .

- أمية بن خالد أبو هدبه القيسي (ت ٢٠٠ هـ)[1]:

اعتمده خليفة في الطبقات، كما نقل عنه بضع روايات في التاريخ تتصل معظمها بموقعة الجماجم وأسماء قتلى القرّاء فيها.

يزيد بن زريع (ت ١٨٢ هـ)[2]:

هو أحد شيوخ البخاري في الصحيح. وقد نقل عنه خليفة في التاريخ. ورواياته تتعلق بالسيرة النبوية أو بسوابق لها أهمية فقهية.

- سليمان أبو داوود الطيالسي (ت ٢٠٤ هـ)[3]:

وتتصل رواياته التي أوردها خليفة بالسيرة وبمقتل عثمان وموقعة الجمل.

- أبو عَبْد الله محمد بن جعفر الهذلي (غُنْدر ت ١٩٣ هـ)[4]:

ورواياته تتعلق ببعض الأحداث ذات الصلة بالبصرة كموقعة الجمل والجماجم وبعضها الآخر يتعلق بالفتن كمقتل عثمان وثورة ابن الزبير، وهي بضع روايات.

---

(١) انظر ترجمته في ابن حجر: تهذيب التهذيب ١/ ٣٧٠ - ٣٧١.

(٢) انظر ترجمة يزيد بن زريع في: البخاري: تاريخ ٣٢٥/٢/٤، الذهبي: تذكرة الحفاظ ١/ ٢٥٦ - ٢٥٧ وقد نقل عنه البلاذري في انساب الاشراف ١٩٧/٥ والطبري في تاريخه ١/ ٧٥، ٣٩٤، ٥٠٧.

(٣) انظر ترجمته في تذكرة الحفاظ ١/ ٣٥١ - ٣٥٢ وقد نقل عنه ابن سعد نقولاً كثيرة معظمها يرويها الطيالسي عن شعبة بن الحجّاج، كما ينقل عنه البلاذري في انساب الاشراف ١/ ١٧١، ٣٩٣ و٤/ ٨٢ كما ينقل عنه الطبري في موضع واحد ١/ ٥٣٤.

(٤) انظر ترجمته في تذكرة الحفاظ ١/ ٣٠٠ وقد نقل عنه البلاذري في انساب الاشراف ١/ ٣٩٢ و٥/ ٢٦٧.

ـ كهمس بن المنهال[1] :

وروایاته كلها تتعلق بالفتنة زمن عثمان، وقد أخذها جميعاً عن شيخه سعيد بن أبي عروبة، وهي بضع روايات.

ـ معتمر بن سليمان (ت ١٨٧ هـ)[2] :

أحد شيوخ خليفة، وسائر ما أورده خليفة عنه في التاريخ يتصل بالفتنة زمن عثمان، وهي بضع روايات.

ـ محمد بن عبد الله الأنصاري[3] :

أحد شيوخ خليفة ورواياته في التاريخ تتعلق بحركة الردة والفتوحات وهي بضع روايات.

ـ يحيى بن محمد الكعبي :

أخذ عنه خليفة مباشرة، وهي بضع روايات تتعلق بأصول فكرة التاريخ عند البشر[4]. وذكر سني ولادة ووفاة وأعمار بعض الخلفاء. كما ذكر أسماء من قتل من القراء في فتنة ابن الأشعث.

ـ موسى بن اسماعيل التبوذكي (ت ٢٢٤ هـ)[5] :

نقل عنه خليفة مباشرة، وتتعلق رواياته بالردة والفتوحات.

---

(١) ترجمته في تهذيب التهذيب ٨/٤٥١ .

(٢) تذكرة الحفاظ ١/٢٦٧ ، تهذيب التهذيب ١٠/٢٢٧ .

(٣) ترجمته في تهذيب التهذيب ٩/٢٧٤ ـ ٢٧٦ وقد روى عنه ابن سعد كثيراً في الطبقات كما روى عنه البلاذري في انساب الاشراف ١/٨٥ .

(٤) خليفة : التاريخ ص ٤ ، ٥ .

(٥) روى عنه محمد بن سعد روايات كثيرة في الطبقات الكبرى ونقل عنه البلاذري في انساب الاشراف ٠/١٦٥ ـ ٣٩٩ .



- **عبد الوهاب بن عبد المجيد الثقفي:**

نقل عنه خليفة مباشرة، ورواياته تتعلق بالفتنة زمن عثمان.

- **عبد الرحمن بن مهدي:**

نقل عنه خليفة مباشرة، ورواياته تتعلق بالفتنة زمن عثمان وبفتنة ابن الزبير، وهي تعكس وجهة نظر مواليه للأمويين.

- **أبو نعيم الفضل بن دكين:**

نقل عنه خليفة مباشرة، وتتعلق رواياته بصفين، كما اهتم بتسجيل سني وفيات العلماء.

- **معاذ بن هشام:**

نقل عنه خليفة مباشرة، وقد اهتم بتسجيل أعمار الخلفاء الراشدين وموقعة الجمل وموقعة جلولاء.

- **أبو عاصم الضحَّاك بن مخلد (ت ٣١٢ هـ):**

محدث بصري نقل عنه خليفة بضع روايات متفرقة.

وهكذا نرى أن خليفة نقل كثيراً من الروايات عن شيوخه المحدِّثين من أهل البصرة. فقد اهتم المحدثون بالسيرة النبوية وبالفتوحات الإسلامية وبيان طبيعة الفتح هل كان عنوة أم صلحاً لما لهذا الأمر من أهمية فقهية وعملية، وكذلك اهتموا بالفتن التي أثّرت في الحس الإسلامي ولها أهمية في معرفة عقائد الرواة وفي تحديد ميولهم السياسية. مما له أهميته في نقد إسناد الحديث كمقتل عثمان وموقعة الجمل. وكذلك الاهتمام بالأحداث المتصلة بالقراء وأهل الحديث ومن ثم فقد اهتموا بموقعة دير الجماجم وفصّلوا أخبارها. وكذلك اهتموا بتسجيل وفيات العلماء والأمراء،

وقد أثرت معيشتهم في البصرة على اهتمامهم بالأحداث ذات الصلة بمدينتهم، وقد أكثر خليفة النقل عن بعضهم، في حين نقل رواية مفردة أو روايتين عن بعضهم الآخر.

وإضافة إلى الشيوخ السابقين، فقد استقى خليفة من عدد كبير من الشيوخ غيرهم فنقل عنهم في تاريخه رواية أو روايتين أو ثلاث حيث ألّف بين هذه الروايات المفردة وروايات المؤرخين والأخباريين الكبار، فقدّم لنا روايات لا نجدها عند غيره أحياناً. وقد صرّح بأخذه عنهم مباشرة بقوله: «حدثني» أو «حدثنا» أو «أخبرنا» كما أنه نقل عن آخرين لم يصرّح بسماعه عنهم.

فمن صرّح خليفة بالسماع عنهم جويرية بن أسماء[1]، وعبد الأعلى بن عبد الأعلى[2] ويحيى بن عبد الرحمن[3] وعلي بن عبد الله[4]، وأحمد بن علي[5] واسماعيل بن سنان[6]، والعلاء بن برد بن سنان[7]، وعثمان القرشي[8]، وعمرو بن المنخّل السدوسي[9] وغيرهم...

---

(١) خليفة: التاريخ ١٠٣، ١٠٦، ١٤٧.

(٢) خليفة: التاريخ ٥، ٣٢، ٩٧، ١٢٤.

(٣) خليفة: التاريخ ٦٥، ٧٨، ١٢٥.

(٤) نفسه ٧٢، ٧٥، ١٨٣.

(٥) نفسه ٣٧.

(٦) نفسه ٣٧، ١٣٧.

(٧) نفسه ٨٦.

(٨) نفسه ١٣.

(٩) خليفة: التاريخ ٨٥، ١٠١، ١٠٢، ١٠٤، ١٠٨، ١٠٩، ١١٥، ١١٦، ١٢٧، ١٢٨، ١٥٣، ١٦١، ١٧٢، ٢٨٠، ٢٨٢.

ومن الذين نقل عنهم خليفة، ولم يصرّح بسماعه منهم مباشرة فهم: إسحق بن ادريس وابراهيم بن صالح بن درهم. والحسن الحفري ومحمد بن سعد كاتب الواقدي الخ..

٥ ـ منهج خليفة بن خياط في التأريخ:

تاريخ خليفة بن خياط أقدم ما انتهى إلينا، حتى اليوم، من كتب التاريخ التي تنهج منهج الحوليات. وهو يتناول فترة من تاريخ الإسلام تمتد حتى سنة اثنتين وثلاثين ومئتين. وقد استهل خليفة تاريخه بحديث عن وضع التأريخ وميلاد الرسول ﷺ، ثم أخذ يسوق أخبار كل سنة على حدة ابتداء من السنة الأولى للهجرة باسطاً ما جرى فيها من أحداث ومغاز وثورات، حتى إذا فرغ من ذلك ذكر من أدركتهم الوفاة في تلك السنة، ومن أقام الموسم. وإذا ما استوفى الحديث عن عهد خليفة من الخلفاء اتبع ذلك ذكر من ولوا كل أقليم من أقاليم الدولة على عهده، ثم من ولوا القضاء في الأمصار ولا سيما في المدينة ومكة والبصرة والكوفة. وقد يذكر أحياناً من ولوه في الشام، ويصل ذلك بذكر من تولوا حجابة الخليفة، والشرطة، والكتابة، وبيوت المال، والخاتم، والبريد، ثم يسوق أسماء الرسل. وهو يتسع في ذلك اتساعاً لا نصيبه عند غيره من المؤرخين.

وبهذا الصنيع يقدم لنا خليفة الأساس الأول لدراسة تاريخ الإدارة والقضاء في الدولة الإسلامية في تلك الحقبة من الزمن.

في الكتاب يقدم لنا خليفة إحصاءات لا نجدها في غيره، لأن من عادته أنه عقيب الحديث عن كل معركة كبيرة هامة، كبدر

وأحد، والحرة وقديد، يورد أسماء الذين لقوا حتفهم في هذه المعارك.

وأما من روى خليفة عنهم، فمنهم أوثق الأئمة في الحديث والآثار وأحسنهم سمعة كالوليد بن هشام، ويزيد بن زريع، وأبي اليقظان، واسماعيل بن عُلية، وغَنْدر محمد بن جعفر، والمدائني. ولم يحك عن أمثال أبي مخنف لوط بن يحيى، وسيف بن عمر وغيرهما من الضعفاء المتهمين في عقائدهم ومذاهبهم وصدق روايتهم.

ومما يلفت النظر في أخبار الفتوح خاصة أن خليفة يحكيها من طريقين، إحداهما عن رُواة من أهل كل مصر من هذه الأمصار المفتوحة، وهذه هي الرواية المحلية، والأخرى وهي الرواية الرسمية، يحكيها عن رواة أهل المدينة. وعلى سبيل المثال نجده عندما تحدث عن فتح إقليم مصر، أورد خبر هذا الفتح عن ابن لهيعة وابن حبيب وغيرهما من المصريين، ثم روى خبر الفتح عن عروة بن الزبير وغيره من أهل المدينة.

ومن الملاحظ أيضاً أن خليفة لا يولي في تاريخه أحداث الدولة الإسلامية الداخلية اهتماماً كبيراً، ويكتفي باللمحة والإشارة، فثورة يزيد بن المهلّب، مثلاً، لم يذكرها إلّا عرضاً وإشارة دونما تفصيل وإيضاح، وأما الأحداث الخارجية من مغاز وفتوحات وما إلى ذلك فإنه يوليها عناية كبيرة، وقد انفرد برواية أخبار هامة في هذا الباب. ومما انفرد به أن أبا بكر الصديق أرسل حاطب بن أبي بلتعة إلى مصر فعقد معاهدة مع المقوقس استمرت قائمة حتى تمت حركة الفتح زمن عمر بن الخطاب.

يضاف إلى هذا أن خليفة أولى الأحداث الداخلية التي ترتبت عليها أمور تتعلق بالعقيدة عناية فائقة (مقتل الخليفة عثمان، ويوم الحرة، وثورة ابن الأشعث، وحركات الخوارج زمن مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية)، حيث نجد تفصيلات بالرواية لا نجدها عند غيره مما يلقي أضواء تكشف كثيراً من المعضلات، ولا سيما في أمر مقتل عثمان وواقعة التحكيم. ومع قلة عناية خليفة بالأحداث الداخلية، فإننا نجد عنده ذكراً لبعض الثورات والحركات الداخلية لا نجدها عند غيره مثل ثورة جراشة الشاري في العهد العباسي.

وفي هذا التاريخ نجد تاريخ وفيات كثير من أئمة الحديث ورجال الفكر والإدارة والحكم، وقد يتجاوز ذلك إلى ذكر تاريخ ميلادهم وبعض أحداث حياتهم.

ومما يسترعي الانتباه أن خليفة أولى أخبار الدولة الأموية عناية خاصة، بينما سرد أخبار بني العباس التي عاصر قسماً منها سرداً سريعاً ودونما عناية، مع خصوبة هذه الفترة وخطرها في التاريخ الإسلامي، ولعل هذا عائد إلى أن خليفة قد أبعد عن تقديره أن ثمّة ضرورة للتبسّط في تدوين أخبار عصر لأناس يعيشون فيه، ويعرفونها كما يعرفها. أو لأن المؤلف بصري الموطن، وهذا يعني أنه ذو ميول عثمانية.

في الفترة التي عاشها خليفة بن خياط استقرت أهمية الإسناد وتثبّتت قواعده، فكان المحدّثون يلتزمون الإسناد بدقة كبيرة كما يظهر ذلك بوضوح في كتب المسانيد والصِّحاح التي ظهرت في القرنين الثاني والثالث الهجريين. ولما كان خليفة محدثاً اهتم

بجمع الحديث وكتابة المسند، فلا عجب أن يهتم بالإسناد حتى في رواياته التأريخية.

ولم يكن خليفة أول من استعمل الإسناد في دراسة التاريخ، فقد كان المحدِّثون الذين يهتمون بالأخبار ينقلونها بالأسانيد، وقد امتد الاهتمام بالإسناد إلى أهل الأدب أيضاً في هذه الفترة المبكرة. على أن دقة الإسناد آنذاك ظلت ملازمة للحديث. أما الأخبار فقد أبدى أصحابها تساهلاً في استخدام الإسناد، ولذلك نجد خليفة بن خياط يلتزم الإسناد بدقة في الحديث، ويتساهل باستعماله في الأخبار والأنساب، ويرجع ذلك إلى أهمية الحديث وتعلّق الأحكام به، فلا بد من التشدد في نقده قبل قبوله. والإسناد هو المحور الأساسي الذي يدور حوله النقد.

أما الأخبار فلا تترتب عليها أحكام تتعلق بمصالح الناس وأمور حياتهم، لذلك كان التساهل في أسانيد الأخبار ممّا تعارف عليه المحدّثون، فرووا منها ما كان في إسنادها انقطاع أو إرسال، كما رووا عن بعض المجروحين الذين لا يقبلون مروياتهم في الحديث. فلا غرابة في أن ينقل خليفة عن ابن الكلبي والواقدي مثلاً، وهم متّهمون عند أهل الحديث، ولا في تساهله في استعمال الإسناد في كتابه الطبقات حيث اكتفى بتقديم قائمة بمصادره في بداية الطبقات، وذكر أنه ألّف بين مادة هذه المصادر ولم يعد إلى ذكر الأسانيد خلال الطبقات إلّا نادراً، وذلك في مواضع الخلاف أو عندما لا يريد تحمل مسؤولية الرواية.

ولا شك أن غلبة الأنساب على مادة الطبقات تجعل التساهل في

الإسناد مقبولاً إذ أن مجال التلاعب وأثر الأهواء يتقلص كثيراً في مادة قوامها الأنساب وسني الوفيات، في حين يقوي الإخبار ذلك في المسائل ذات المساس بالعقائد الدينية والميول السياسية. ومن هنا نجد أن خليفة يُعنى بذكر الإسناد في تأريخه أكثر من الطبقات. خاصة فيما كتب عن السيرة النبوية، وإن كان قد جمع الأسانيد في كثير من الروايات ممّا يتعارض مع دقة الإسناد، لكنه اعتمد على المصادر الموثّقة فقط.

كذلك اهتم خليفة بذكر الأسناد كثيراً عند ذكر الأحداث التي تحتاج أخبارها إلى تدقيق، لتأثير الأهواء فيها مثل الفتنة زمن عثمان، موقعة الجمل، صفين، أخذ معاوية بيعة أهل الحجاز لابنه يزيد، وقعة الحرة، ثورة ابن الأشعث. ونجده يعتمد في هذه الأخبار على المحدثين بالدرجة الأولى.

ويظهر تساهله في الإسناد في كثير من الروايات حيث نجده يذكر في إسناده «حدّثني من سمِع»[1]، أو «رُوِيَ عن»[2]، أو «حُدِّثْنا عن»[3]. على أن خليفة لم يسند سائر رواياته، بل أورد مادة واسعة دون أسانيد، وخاصة قوائم أسماء الشهداء والقتلى وقوائم موظفي الإدارة التي أوردها في نهاية حكم الخلفاء وسني وفيات الخلفاء والأمراء والعلماء ومواضعها ممّا اهتم خليفة بايراده في نهاية أحداث كل سنة في الغالب أو في خلال الأحداث أحياناً.

---

(١) خليفة : التاريخ ١٢٦ .

(٢) خليفة : التاريخ ١٧٩ ، ١٢٤ ، ١٢٧ ، ١٦٦ ، ٢٨٧ .

(٣) حسين مؤنس : شيوخ العصر في الاندلس ٤٦ .



هذه الأمور التي انفرد بها خليفة منهجاً وعرضاً تجعل من تاريخه مصدراً ووثيقة هامتين في دراسة حركة التاريخ العربية، يضاف إلى ذلك وضوح شخصيته كمؤرخ نقاد، لا كمدوّن خبر شأن كثير من المؤرخين.

ثانياً: طبقات خليفة بن خياط:

١ - مخطوطاته وطبعاته:

لم يتبقَّ من مخطوطات الكتاب «الطبقات» سوى نسخة فريدة موجودة في المكتبة الظاهرية بدمشق (حديث ٥٤٤) وهي تقع في ٩٧ ورقة. وقد كتبت النسخة في أوائل القرن الرابع الهجري، ولعل كاتبها هو صاحبها الأول محمد بن أحمد بن محمد الأزدي، إذ لا يوجد ذكر صريح لاسم الناسخ. وهي مقسمة إلى خمسة أجزاء وهذه النسخة تامة حيث ذكر في نهاية الجزء الخامس «تم كتاب طبقات الرجال والنساء بحمد الله ومنِّه». ومما يؤكد كمال النسخة أن النقول الموجودة في المصادر المتوفرة لا تكاد تضيف شيئاً إلى مادة النسخة. وقد تناقلت الأيدي هذه النسخة بالشراء وغيره حتى صارت للحافظ أبي عبد الله محمد بن عبد الواحد بن أحمد المقدسي الذي أوقفها. كما كتبت على النسخة عدة سماعات وقد يتكرر السماع في عدة مواضع.

روى الطبقات عن خليفة بقيّ بن مخلد القرطبي (ت ٢٧٦ هـ)، وهو أول من أدخل «طبقات» خليفة إلى الأندلس وأدخل معها كتاب «التاريخ» أيضاً، ولكن روايته للطبقات فقدت ولم تنقل عنها المصادر المتوفرة لدينا، ولعل شيوع روايته اقتصر على بلاد

الأندلس[1] كما روى الطبقات عن خليفة أيضاً كل من أبي حفص عمر بن أحمد بن إسحق الأهوازي، وأبي عمران موسى بن زكريا التستري.

وأما أبو حفص الأهوازي فلا ترجمة له في المصادر المتوفرة، ولكن يبدو من الأسانيد التي ذكرها ابن عساكر أن بعض علماء أصبهان روى الطبقات عنه مثل محمد بن أحمد بن إسحق الأهوازي[2]، وأبو الحسين بن إسحق الأصبهاني[3]. وكذلك فإن سند النسخة التي وصلتنا من الطبقات يتصل به حيث رواها عنه أبو بكر بن المقري، وقد كتب في أعلى الوجه الأول من الورقة الأولى «أخبرنا أبو بكر محمد بن ابراهيم بن علي بن عاصم بن المقرىء أخبرنا أبو حفص عمر بن أحمد بن إسحق الأهوازي بالأهواز شهر رجب سنة خمس وثلثمائة». وسند النسخة المذكور يدل بوضوح على أن الذي رواها عن خليفة هو أبو حفص الأهوازي. ولكن الأوراق التي تتقدم كل جزء والتي كتب فيها رقم الجزء، مكتوب في كل منها «الجزء الأول» (أو الثاني أو الثالث حسب تتابع الأجزاء) من كتاب الطبقات عن خليفة بن خياط رواية أبي عمران موسى بن زكريا التستري». مما يؤكد أن هذه النسخة هي من رواية أبي عمران موسى بن زكريا التُستري عن خليفة. فمن هو راوية النسخة إذاً أبو حفص الأهوازي أم أبو عمران التستري؟ .

---

(١) ابن عساكر : تاريخ مدينة دمشق ١٠/١٦٦ ، ١٨٦ ، ٣٥٣. . . .
(٢) ابن عساكر : ن.م ١٠/١٤٨ ، ١٦١ ، ٢١٨ ، ٢٨٧ .
(٣) خليفة : الطبقات ٧٨ .



لم تترجم الكتب لأبي حفص الأهوازي، ولكن أخذه عن خليفة مباشرة تؤكده أسانيد ابن عساكر، كما أنه يصرح في الطبقات بأخذه عن خليفة مباشرة بقوله «حدّثنا»[1].

وأما أبو عمران موسى بن زكريا التستري فقد ترجم له الذهبي باقتضاب حيث ذكر أنه يروي عن شباب العصفري ونحوه[2]، وأنه شيخ للطبراني ولأبي الطاهر الذُّهلي وخلق من علماء تُستر[3]، ونقل تضعيف الدار قطني له وقوله أنه متروك[8]، دون أن يفسر سبب جرحه له وهكذا نجد الأهوازي والتستري معاً يصرّحان بالنقل مباشرة عن خليفة مما يجعل احتمال نقل أحدهما عن الآخر هذه النسخة ينعدم. والذي يبدو أن النسخة كتبت بالاعتماد على الروايتين معاً، وأن التطابق بين الروايتين تام لأنهما مكتوبتان، وقد سُمِعت النسخة على أبي بكر بن المقرىء الذي استمعها من أبي حفص الأهوازي سنة ٣٠٥ هـ. ومن ثم فإن تاريخ النسخة لا يمكن أن يكون بعد منتصف القرن الرابع الهجري بكثير لأن ابن المقرىء (ت ٣٨١ هـ)، كما أن هناك سمع على أبي الشيخ الأنصاري (ت ٣٦٩ هـ). وهناك إسناد في بداية النسخة عليه شطب بحبر من النوع الذي كتبت به النسخة. ولكن يمكن قراءة الكلمات ونصها «أخبرنا أبو محمد عبد الله بن محمد بن حيّان أبو القاسم الطبراني[4] قال: أخبرنا أبو عمران موسى بن زكريا التستري قراءة

---

(١) الذهبي : ميزان لاعتدال ٣/ ٢١٠ .

(٢) الذهبي : المشتبه ١/ ٧٧ .

(٣) الذهبي : ميزان الاعتدال ٣/ ٢١٠ .

(٤) لم يذكر صيغة التحمل بين ابن حيان وأبو القاسم الطبراني ، ولكن

عليه قال: حدثني خليفة بن خياط شباب أبو عمرو الشيباني الذُّهلي بعضه بالبصرة وبعضه بتستر». وبذلك يكون أبو الشيخ ابن حيان الأنصاري قد نقل رواية التستري عن طريق أبي القاسم الطبراني: وهو تلميذ التستري.

ولكن ابن حيان ينقل في كتابه «طبقات المحدثين بأصبهان» في طبقات خليفة برواية أبي حفص الأهوازي[1]. وبذلك يكون أبو الشيخ الأنصاري قد اطّلع على روايتي الأهوازي والتستري لطبقات خليفة. مما يدعم القول بأن هذه النسخة كتبت بالاعتماد على الروايتين معاً. والراجح أن النسخة كتبت بالاعتماد على رواية التستري من طريق تلميذه أبي القاسم الطبراني. ثم قورنت برواية الأهوازي وأضيف إسناده إليها في بداية الجزء الأول والجزء الثاني من الطبقات، ولعل كاتب النسخة أراد توثيق روايته بإسنادها إلى الأهوازي أيضاً خاصة وأن الدار قطني ضعَّف التستري وقال إنه متروك. ولئن كان حكم الدار قطني المتوفي سنة ٣٨٥ هـ متأخراً عن كتابة النسخة، فإن رأي الدار قطني فيه هو رأي علماء سبقوا الدارقطني وعرفوا التستري فحكموا عليه بالضعف، لأن الدارقطني لم يعاصر التستري ولم يره ولا يمكن أن يقول عنه «متروك» جزافاً.

حقق الدكتور سهيل زكار كتاب الطبقات برواية التستري في مجلدين. وصدرت في دمشق سنة ١٩٦٦. كما حقق الطبقات أيضاً

= الطبراني توفي سنة ٣٦٠ هـ، وابن حيان توفي سنة ٣٦٩ هـ ولذلك فمن المحتمل أن تكون صيغة التحمل هي إمّا «أخبرنا» أو «حدثنا».

(١) ابن الشيخ الانصاري: طبقات المحدثين بأصبهان ١/٦٥.



أكرم ضياء العمري وصدرت عن مطبعة العالي ـ بغداد سنة ١٩٦٧ في مجلد واحد.

ـ٢ ـ مصادر خليفة بن خياط في الطبقات:

قدَّم خليفة في بداية كتابه «الطبقات» قائمة بمصادره التي اعتمدها قال: «حدّثنا أبو الوازع الهُذْلي وأمية بن خالد أبو هدبة القيسي وأبو اليقظان، وسمعت أبا عبيدة معمر بن المثنى، وحدثني بعضه محمد بن معاوية عن أبي عبيدة وهشام بن محمد بن السائب الكلبي عن أبيه، وذكر محمد بن إسحق بعضه فألّفته.. وحدثني حاتم بن مسلم وعلي بن محمد بن أبي سيف»[1]. وأشار في تسعة مواضع من طبقاته إلى محمد بن عمر الواقدي، ممّا يدل على اعتماده عليه أيضاً رغم أنه لم يذكره بين مصادره. كما ذكر خلال الطبقات آخرين أخذ عنهم أيضاً أحاديث أو روايات مفردة. وأهم مصادره هي:

ـ **أبو اليقظان النسّابة**: اشتهر بلقبه سحيم، واسمه عامر بن حفص[2]، وقد عاش في البصرة في القرن الثاني الهجري كما تدل على ذلك سنة وفاته (ت ١٩٠ هـ) وليست لدينا تفاصيل عن حياته إذ لم يترجم له أحد سوى ابن النديم معتمداً على المدائني، وقد نقل عنه ياقوت في معجم الأدباء بعض هذه الترجمة. وكان أبو اليقظان من شيوخ المدائني كما تدل المقتطفات الكثيرة التي نقلها المدائني عنه مباشرة.

---

(١) خليفة: الطبقات ٢ ـ ٣.

(٢) ابن النديم: الفهرست ٩٤.

ذكر ابن النديم أنه كان عالماً بالأخبار والأنساب والمآثر والمقالب، ثقة فيما يرويه[1]. ونلاحظ من قائمة مؤلفاته التي أوردها ابن النديم، والمتقطفات المنقولة عنهاأن اهتمام أبي اليقظان انصبَّ على الأنساب والأخبار، وأنه أولى الأخبار الطريفة عناية خاصة حتى ألّف كتاباً في النوادر لقي رواجاً حتى فترة متأخرة أذ ذكر ابن النديم اطلاعه عليه[2].

وتتشابه مادة كتب أبي اليقظان فهي خليط من الأنساب والأخبار، إلّا أنه يبدو من عناوين بعض مؤلفاته غلبة الأخبار عليها مثل كتاب «أخبار تميم»، في حين أن مؤلفه الآخر «نسب خندف وأخبارها» يدل عنوانه على المحتوى الذي هو خليط من الأنساب والأخبار. ورغم أن أبا اليقظان جعل عنوان كتابه الشامل «النسب الكبير» إلّا أنه ضمّنه كثيراً من الأخبار. وامتزاج النسب والأخبار ظاهرة عامة عند الباحثين في هذا الحقل خلال القرن الثاني الهجري[3].

اقتصر أبو اليقظان على أنساب عرب الشمال، كما أولى أنساب الأمهات عناية خاصة، وقد اعتمد خليفة عليه في أنساب عرب الشمال وأنساب الأمهات[4].

بالنسبة لمادة أبي اليقظان في الأخبار، نراه يولي البصرة وخططها وأخبار أهلها والأحداث التي وقعت فيها أو قريباً منها أو لها صلة

---

(١) ابن النديم : الفهرست ٩٤ .

(٢) ابن النديم : الفهرست ٩٤ .

(٣) عبد العزيز الدوري : نشأة علم التاريخ عند العرب ٣٤ .

(٤) خليفة : الطبقات ١٢ ، ١٦ ، ٢٤ ، ٤٢ ومواضع أخرى .

بها، عناية كبيرة (معركة الجمل، ثورة ابن الأشعث، فتوح المشرق الخ). وإلى جانب ذلك اهتم ببعض الأحداث الأخرى التي وقعت بعيداً عن البصرة (وقعة الحرة)، وتسجيل سني وفيات الخلفاء والعلماء. وذكر الولاة والقضاة ومن كان على الشُرَط.. كما اهتم كثيراً بأخبار البلاط الأموي لميله إليهم. ولعل لعيشه في البصرة العثمانية أثر في هذا الميل إلى الأمويين، دون أن يمنعه ذلك من إيراد روايات تمس الأمويين أو بعض ولاتهم كالحجّاج[1].

ـ هشام بن محمد بن السائب الكلبي:

وهو كوفي توفي سنة ٢٠٤ هـ. وكان أبوه محمد بن السائب الكلبي (ت ١٤٦ هـ) قد جمع مادة غزيرة في الأنساب من نسّابي القبائل مباشرة[2]. وقد ألّف هشام بين هذه الروايات الشفوية بعد أن نقّحها وأضاف إليها. فكان ثمرة عمله كتاب «النسب الكبير» الذي وصلنا، وهو يتناول أنساب العدنانيين والقحطانيين. ويهتم ابن الكلبي بمادة النسب بالدرجة الأولى فلا يفصل الأخبار التي قدّمها خلال مادة النسب، ومن ثم فإن أهميتها تبدو ثانوية. وهو بذلك يختلف عن معاصريه أبي اليقظان ومؤرخ بن عمرو السدوسي[3].

---

(١) ابن قتيبة : عيون الاخبار ٢/٢٦٠ و٤/٦١ .

(٢) ابن النديم : الفهرست ١٦٤ .

(٣) أبو فيد مؤرج بن عمرو السدوسي البصري النحوي (ت ١٩٥ هـ) من أصحاب الخليل بن أحمد الفراهيدي . غلب على صنعته الشعر واللغة . من مؤلفاته كتاب الانواء ، كتاب غريب القرآن ، كتاب المعاني ، كتاب =

وقد اعتمد خليفة على ابن الكلبي كثيراً في أنساب اليمن مصرحاً بنقله عنه، وبدرجة أقل في أنساب العدنانيين. وتبدو مادة ابن الكلبي في طبقات خليفة أوسع من مادة أبي اليقظان لأن الأخير لم يتناول أنساب اليمن. ويظهر أثر ابن الكلبي أيضاً في تنظيم خليفة لمادة القسم الأول من الطبقات، وهو القسم المتعلق بالصحابة من أهل المدينة وبصورة خاصة عند تناول أنساب القحطانيين حيث يتقيّد خليفة بطريقة ابن الكلبي في تنظيم المادة رغم أنه يكتب مؤلفاً في طبقات الرجال وليس كتاباً في النسب، فنجده يذكر أصول القبائل وتفرعها كما يفعل ابن الكلبي مع أن خليفة لم يذكر تفرع القبائل في غير أنساب القحطانيين إلّا نادراً. لكن هذا لا ينفي وجود اختلافات في تنظيم المادة بين خليفة وابن الكلبي، فخليفة يذكر الحلفاء والموالي بعد ذكر رجال العشيرة، ولا يفعل ذلك ابن الكلبي. كما أن تسلسل العشائر عند خليفة يختلف عمّا عند ابن الكلبي، ثم أن خليفة يأتي على ذكر رواة الحديث، في حين لا يراعي ابن الكلبي عند ذكره بعض المشهورين من رجال العشيرة أن يكونوا من رواة الحديث. وقد قدم ابن الكلبي ذكر علي وذريته على ذكر العباس وذريته، في حين بدأ خليفة بالعباس كما فعل مؤرج بن عمرو السدوسي الذي أفصح عن ميوله العباسية[1]، رغم أن خليفة لا يذكر مؤرج بين مصادر.

= جماهير القبائل. وقد لخص نسب قريش في كتابه «حذف من نسب قريش»، ترجمته في: تاريخ بغداد ١٣/ ٢٥٨ ووفيات الاعيان ٢/ ١٩٠.

(١) مؤرج السدوسي: حذف من نسب قريش ٦/ ٣٣.

ـ محمد بن إسحق (ت ١٥١ هـ):

ذكره خليفة في قائمة مصادره في بداية الطبقات، كما أشار إليه في عدة مواضع من كتابه، وفي هذه المواضع نقل عنه أنساباً يتفق فيها مع غيره[١] أو يخالفهم فيها[٢]. كما اعتمده وحده في مواضع أخرى، وقد اعتمد خليفة على رواية بكر بن سليمان[٣] عن ابن إسحق ولم يعرف عن ابن إسحق تأليفه في الأنساب. لكن اهتمامه بالسيرة وبأحداثها وبأخبار الخلفاء جعله يتناول أنساب الأشخاص الذي ساهموا في أحداث السيرة وما أعقبها زمن الخلفاء. ويمكن القول إن اعتماد خليفة على ابن إسحق في الطبقات كان بدرجة أقل من اعتماده على ابن الكلبي وأبي اليقظان ممّا يدل على اضطلاع خليفة وتمكنه من غربلة المصادر ووضعها في مواضعها، فهو يقدّم ابن الكلبي وأبي اليقظان لأنهما اختصا بذلك وتميّزا بتمكنهما في علم الأنساب.

ـ أبو عبيدة معمر بن المثنى (ت ٢٠٩ هـ):

ذكر خليفة في قائمة مصادره في بداية الطبقات أنه أخذ عن أبي عبيدة عن طريق محمد بن معاوية[٤]. وقد اعتمد خليفة على أبي

---

(١) خليفة: الطبقات ٧٠.

(٢) خليقة: الطبقات ٤١، ٥٧٠، ٣٠٦.

(٣) بكر بن سليمان أبو يحي البصري الاسواري. سمع محمد بن اسحق وروى عنه خليفة بن خياط انظر البخاري: التاريخ الكبير ١/٢/٩٠، ابن ابي حاتم: الجرح والتعديل ١/١/٣٨٧.

(٤) خليفة: الطبقات ص ٢.

عبيدة في مواضع من طبقاته[1]، كما قرنه بغيرة في مواضع أخرى[2]. وقد ترجم ابن النديم لأبي عبيدة مع اللغويين، لتغلب الاهتمام باللغة عليه، وقد اهتم أبو عبيدة أيضاً بالأنساب والتاريخ، كما له معرفة واسعة بالمثالب. وبسبب تأليفه في مثالب العرب وإبرازه معايبهم، وكتابته عن أخبار الفرس، اتهم أبو عبيدة بالشعوبية.

وقد صرّح خليفة بنقله عن أبي عبيدة في سبع مواضع، لكننا لا نستطيع تحديد مدى اعتماده عليه فقد ألّف خليفة في الطبقات بين مواد المصادر المختلفة، ولكن يمكن القول أن الاعتماد عليه ليس بنفس الدرجة الكبيرة التي نالها أبو اليقظان وابن الكلبي.

ـ علي بن محمد المدائني (ت ٢٢٥ هـ):

نقل خليفة عن المدائني مباشرة، وذكره في قائمة مصادره، كما أشار إليه ثلاث مرات خلال الطبقات في مواضع الخلاف بين النسابين. وقد عرف المدائني باهتمامه بالتاريخ والأخبار، كما اهتم بالأنساب أيضاً حيث ألّف كتاب (نسب قريش وأخبارها)، ولكن غلب عليه الاهتمام بالأخبار. والراجح أن خليفة أفاد منه في التاريخ أكثر من الطبقات رغم أنه وضعه في قائمة المصادر التي ذكرها في بداية الطبقات.

ـ أمية بن خالد أبو هدبة القيسي (ت ٢٠٠ هـ):

وهو أحد المحدثين الثقات، ذكره خليفة بن خياط في قائمة

---

(١) خليفة : الطبقات ٤١ ، ٤٤ ، ١٢٩ .

(٢) خليفة : الطبقات ٣٣١ .





مصادره. ولم يعرف عن أمية أنه صنّف في الأنساب أو الطبقات أو التاريخ، لكنه عرف باهتمامه بالحديث. وقد أشار إليه خليفة مرتين خلال الطبقات، ونقل عنه في الأولى أسماء بعض من فقد من العلماء في ليلة دجيل، وفي الثانية قدوم عبد الله بن عمر على أبي موسى الأشعري بالبصرة. والأرجح أن ما نقله خليفة عنه في الطبقات لا يتعلق بالأنساب وإنما في بعض أخبار رواة الحديث أو سني وفاتهم ومواضعها أو تنقلهم بين الأمصار. وهي معلومات يهتم بها المحدثون عادة لصلتها الوثيقة بنقد الإسناد والتوثق من صحة الأحاديث. هذا وأن عدم استعمال خليفة الإسناد في الطبقات إلّا نادراً يجعل من المتعذر القطع بطبيعة مادة كل شيخ من الشيوخ الذين اعتمدهم وأورد أسماءهم في قائمة مصادره.

ـ حاتم بن مسلم:

هو حاتم بن أبي صغيرة. واسم أبيه مسلم أبو يونس القشيري وقيل الباهلي. محدِّث ثقة ذكره خليفة في قائمة مصادر طبقاته، وصرّح بنقله عنه خلال الطبقات بلفظ «حدّثني حاتم» فهو من شيوخه المباشرين. وقد أسند إليه حديثاً ينسب فيه النبي ﷺ نفسه، ولكن لا يمكن تقدير قيمة ما نقله خليفة عنه لتأليفه بين مواد مصادره العديدة. والراجح أن اعتماد خليفة عليه هو في ما كتبه عن رحلات الرواة وسني وفياتهم ومواضعهم ممّا يهتم به أهل الحديث.

ـ محمد بن عمر الواقدي (ت ٢٠٧ هـ):

لم يذكر خليفة الواقدي ضمن مصادره التي قدّمها في بداية الطبقات، لكنه صرّح بنقله عنه في تسع مواضع من الطبقات حيث

نقل عنه ما خالف به غيره فنسبه إليه صراحة[1]. كما اعتمده في مواضع أخرى فنقل عنه ولم يقرنه بغيره[2]. وسائر هذه النصوص تتعلق بسني وفيات بعض الصحابة ومن بعدهم أو بمحل سكناهم.
وللواقدي عناية كبيرة بذلك إذ كان أول من صنّف كتاباً في الطبقات، حيث اعتمد عليه كاتبه محمد بن سعد فنقل عنه كثيراً في «الطبقات الكبرى». ولم يصرّح خليفة في سائر المواضع بأخذه عن الواقدي مباشرة بل استعمل لفظ «قال الواقدي». على أن خليفة صرّح بنقله عن الواقدي مباشرة في «التاريخ» في رواية واحدة نقلها عنه هناك[3].

ـ نسّابو القبائل:

جمع خليفة بن خياط قسماً من معلوماته عن الأنساب من مصادر أولية، إذا أخذ عن نسّابي القبائل الذين كانوا يعنون بأنساب قبائلهم خاصة. من ذلك قوله بعد ذكره نسب بعض بني هذيل «حدثني بهذا النسب أبو الوازع الهذلي وغيره من هذيل وغيرهم»[4]، وكذلك اعتماده على محمد بن سواء السدوسي في أنساب بعض بني سدوس[5]، وعلى أبي حفص المدني السلمي في أنساب

---

(١) خليفة : الطبقات ٩٥ ، ١٠٣ . . .
(٢) خليفة : الطبقات ٣٠٢ ، ٣٠٥ ، ٣٢٢ .
(٣) خليفة : التاريخ ١٠٣ .
(٤) خليفة : الطبقات ص ٣٦ .
(٥) محمد بن سواء هو السدوسي العنبري أبو الخطاب البصري المكفوف من المحدثين الثقات بالبصرة وهو شيخ خليفة بن خياط انظر ابن حجر : تهذيب التهذيب ٢٠٨/٩ ، خليفة : الطبقات ٦٤ .

بعض بني سليم[1]، وعلى مسلم بن الصحار في أنساب بعض بني حنيفة، واعتمد على أبي أيوب اليمامي عن الصحابة الرواة الذين نزلوا اليمامة[2]. كذلك اعتمد على نسّابة القبائل في أنساب بعض المزنيّين[3] وبني القارة[4] وبني أسيد[5] وبني مخزوم[6].

ويسأل خليفة عن الرجل أقرباءه وأبناءه وينسب أقوالهم إليهم حين يذكرها[7]، ولا يكتفي بأقوالهم بل يسأل غيرهم أيضاً عن أنسابهم، إذ قد تمنع الروابط والصلات بين أبناء القبيلة الواحدة من ذكر أمور تمس كرامة القبيلة أو أحد أفرادها. ومن ذلك يتبيّن لنا أن خليفة بذل جهداً مضنياً في جمع مادته من هذه المصادر الأولية الشفوية إضافة إلى تأليفه بين مواد النسّابين الكبار الذين ألّفوا في الأنساب.

ـ مصادر أخرى:

ذكر خليفة في أسانيده القليلة التي ذكرها خلال الطبقات أسماء شيوخ آخرين أخذ عنهم حديثاً أو رواية مفردة وهم معاذ بن

---

(1) خليفة : الطبقات ص ٥٢ .
(2) خليفة : الطبقات ص ٦٥ .
(3) خليفة : الطبقات ص ٦٦ .
(4) خليفة : الطبقات ص ٣٩ .
(5) خليفة : الطبقات ص ٣٤ .
(6) خليفة : الطبقات ص ٤٣ .
(7) خليفة : الطبقات ص ٢٨٣ .

معاذ[1]، وأبو محمد العبدي[2]، وأبو أحمد[3]، وأبو أمية عمرو بن المنخل السدوسي[4]، وبشر بن المفضل[5]، وزياد بن الربيع اليحمدي[6]، وسليمان بن حرب[7]، وعلي بن سعيد[8]، وكلهم من المحدثين المعروفين بالبصرة.

كذلك نقل مرة عن الأصمعي بلفظ «قال الأصمعي»، وذلك في نسب أبي الهيثم بن التيهان، حيث اعتمد فيه الأصمعي على قوم أبي الهيثم[9]. وقد لقي خليفة الأصمعي وأخذ عنه مباشرة[10]. كما نقل مرة أيضاً عن الهيثم بن عدي بلفظ «قال الهيثم» وذلك في خبر يتعلق بميمون بن مهران حيث اعتمد الهيثم على عمرو بن ميمون بن مهران في ذلك[11].

٣ ـ ظروف ودوافع تأليف طبقات خليفة:

اقتضت ظروف الجزيرة العربية وأحوالها أن ينظم العرب حياتهم

---

(١) خليفة : الطبقات ص ٤٩ حيث يذكر « واخبرني أبو حفص المدني أن امهما(أي مجاشع ومجالد بن مسعود) خولة بنت زرعة .

(٢) خليفة : الطبقات ص ١٤٥ .

(٣) خليفة : الطبقات ص ٢ .

(٤) خليفة : الطبقات ١٦٣ ، ٣٤٢ .

(٥) خليفة : الطبقات ٤٣ .

(٦) خليفة : الطبقات ١٨٩ .

(٧) خليفة : الطبقات ص ١٢٣ .

(٨) خليفة : الطبقات ص ٦٧ .

(٩) خليفة : الطبقات ص ٦٦ .

(١٠) خليفة : الطبقات ص ٧٩ .

(١١) خليفة : الطبقات ص ٦٦ .

فيها على أسس قبلية، فالقبيلة هي الوحدة السياسيةوالاجتماعية، وهي تتكون من أفراد يتحدرون من جد واحد يحملون اسمه، ويتحملون مسؤوليات وواجبات مشتركة؛ وهم يقيمون ويظعنون سوية، ويشتركون في الدفاع عن القبيلة وعن أي من أفرادها إزاء كل خطر يواجههم، فالقبيلة هي المظهر الأوّلي البسيط للدولة؛ والرابطة التي تربط الأفراد هي رابطة الدم والمصلحة، وهذه الرابطة قائمة على أسس بيولوجية من الدم لا يمكن تغييرها أو تبديلها، ويتوقف على مدى قوتها تماسك القبيلة وبقاؤها؛ وهي الوسيلة الرئيسية للحياة في شبه الجزيرة العربية عندما لم تكن فيها حكومة قوية تهيمن عليها.

ولما كان أفراد القبيلة يتحدّرون جميعاً من جد واحد، لذلك كانوا يعتبرون في الأصل متكافئين ، كما أن الفقر والجدب وتعرض القبائل للغزو والنهب، جعل التباين الطبقي على أسس الثروة المادية ضيقاً، بل يكاد يكون معدوماً. غير أن هذا لا يعني أن أفراد القبيلة كانوا متساوين تماماً، ذلك أن المواهب والمآثر الشخصية أدت إلى بروز الفرديّة. والواقع أن تمسك العرب بالروح القبلية، واعتدادهم بالعصبية الجماعية لم يصل إلى الحد الذي يمحو الفرديّة، بل على العكس فإن المجتمع البدوي كان يعطي الفرد مجالاً واسعاً لإظهار مواهبه. كما كان يقدر النابغين من الأفراد، ويفخر بمواهبهم وأعمالهم الفردية ويعتبرها مفخرة للعشيرة كلها. وفي الحقيقة أن مفاخر العشيرة أساسها أعمال أفراد من تلك العشيرة. وعلى هذا فإنهم مع اهتمامهم بالنسب واعتزازهم بالرابطة القبلية، كانوا يهتمون بالمفاخر ويتناقلون أخبار أعمال الأفراد

العظيمة وقد قضت أحوال الصحراء أن تكون مفاخر البدو بأعمال الفروسية والشجاعة والدفاع عن القبيلة وحماية الضعيف، والترفّع عن الصغائر، وكذلك بالمواهب الأدبية والصفات الحميدة عند بعض الأفراد. وقد كانت هذه المفاخر محصورة في نطاق القبائل الضيّق. ثم جاء الإسلام بمبادئه وأفكاره الجديدة التي تتجلى في القرآن الكريم. وقد أكّد على وجوب الاهتمام بدراسة أحوال الأمم الماضية لأخذ العبرة منها، وذَكرَ أحوال كثير من الأمم والأنبياء وما أصابهم، كما أقرّ وجود المجتمعات القبلية وتباين الأفراد، ولكنه جعل معيار التفاضل بالتقوى، أي بمقدار التمسك بمبادىء الدين الإسلامي والتحلي بالمثل الأخلاقية التي يدعو لها. وعلى هذا فإن العنصر الأساسي الجديد الذي جاء به القرآن الكريم هو المعيار الأخلاقي الجديد الذي على أساسه يتفاضل البشر، والذي هو العامل القوي في تحرير الفردية من طغيان عصبية القبيلة وجماعيتها. أما القبيلة ذاتها كوحدة اجتماعية وقانونية، فلم يعترض القرآن على بقائها، سوى أنها فقدت ما كان لها من استقلال تام وأصبحت جزءاً من الأمة وخاضعة لهيمنة الدولة.

وقد ظلت القبيلة هي الوحدة الاجتماعية للعرب، فأقرها الرسول في صحيفته المشهورة التي أعلن فيها التنظيم الذي ينوي اتباعه في المدينة؛ فقد ذكر في هذه الصحيفة معظم عشائر أهل المدينة كلا على حدة، وبيّن أن أفراد كل عشيرة «على معاقلهم ويفدون عانيهم بالمعروف». ولما أصبحت شبه الجزيرة ضمن الدولة الإسلامية بعد فتح مكة؛ أبقى الرسول ﷺ المجموعات القبلية وأبقى لكل قبيلة رؤساءها السابقين إذا لم يبقوا على الشرك، واكتفى بإرسال

المصدقين لجمع الصدقات، والمعلمين لتعليمهم مبادىء الدين.

وبعد القضاء على الردة وإعادة كامل شبة الجزيرة إلى لواء دولة الإسلام، بدأت الفتوح الإسلامية التي أدت إلى امتداد دولة الإسلام في فترة قصيرة من الزمن من أواسط آسيا حتى المحيط الأطلسي، وقد كان عماد هذه الفتوح أهل الجزيرة الذين كان منهم الجند والقواد والولاة والخلفاء. وقد اقتضت الأحوال الجديدة توطين المقاتلة العرب في مراكز عسكرية جديدة يقومون منها بالفتوح والدفاع عن الحدود وتوطيد الأمن والنظام في الدولة الجديدة الواسعة. وتدعى هذه المراكز العسكرية بالأمصار، وهي تتميز عن المدن الأعجمية في أن سكانها عرب مسلمون، وعن بقية المدن العربية من حيث أن سكانها هم المقاتلة، أي الجيش المسلم الذي يقوم بالفتوح والقتال ويأخذ العطاء والرزق.

وقد كان للتنظيمات القبلية ومُثُلِها أثر كبيرة في الأمصار، نظراً لأن المقاتلة العرب الذين استوطنوا الأمصار كانوا حديثي عهد بالبداوة وبالحياة القبلية، فكان أفراد كل عشيرة يسكنون معاً في خطة تُسمى باسم العشيرة، وكانوا يحملون مسؤوليات قانونية مشتركة، فهم يرثون من لا وارث له، ويشتركون في دفع ديّة قتل الخطأ الذي يقترفه أحد أفراد العشيرة، ويعملون على منع حدوث الفتن فيها. وقد أدركت الدولة الإسلامية قوة الرابطة القبلية في الأمصار فراعتها في تنظيماتها وعينت لكل عشيرة عريفاً يحفظ سجلات أفرادها ويبلّغهم أوامر الحكومة، ويوزع عليهم العطاء. ومع أن استقرار الناس في الأمصار في ظل حكومة قوية كان من شأنه أن يساعد على الاختلاط والامتزاج وعلى إظهار روابط جديدة

تعمل على إضعاف الرابطة القبلية؛ إلّا أن هذه العوامل كانت بطيئة التأثير واحتاجت إلى أكثر من قرنين من الزمن حتى تطغى عليها؛ لذلك لا نعجب إذا رأينا ما للنظام القبلي من أثر في تسمية الناس وتصنيفهم.

وقد أدرك العرب عظمة الإسلام ودوره في توحيدهم وجعلهم سادة العالم، وفي توجيههم إلى مكارم الأخلاق، وصاروا يقدّرون سمو مبادئه وأهمية مُثُله، فأخذوا يتدارسونه ويبحثون فيه. وقد أدركوا قيمة العهود الأولى من الإسلام، ففيها عاش الرسول وصحبه الأكرمون الذي ساعد اتصالهم الوثيق الطويل بالرسول على تشبّعهم بروح الإسلام، وفيها تمت أيضاً الإنجازات السياسية الكبرى، وضم كثير من الأقطار إلى الدولة الإسلامية، وفي هذه العهود الأولى كان الإسلام أقرب إلى منابعه الأصلية؛ القرآن والرسول والصحابة ولم تعقّده الأفكار والمشاكل الجديدة التي جاءت من الأعاجم وقد أدى كل هذا إلى تثبيت فكرة تقدير الناس تبعاً لقربهم من منابع الإسلام الأولى، وتصنيف المهتمين بشؤون الإسلام ودراسته تبعاً إلى مدى قربهم من العهود الأولى، وهذه الفكرة تنسجم مع تفكير العرب التاريخي الذي تيجلي في اهتمامهم بالأنساب والمفاخرات. وتسهيلاً للدراسة فقد صنّفوا الناس إلى طبقات تبعاً لقربهم أو بعدهم عن منابع الإسلام الأولي، غير أنهم اختلفوا في عدد الطبقات وما تعبر عنه كل طبقة؛ والواقع أن فكرة التقسيم إلى طبقات امتدت إلى كثير من الميادين، كطبقات الشعراء وطبقات النحاة وطبقات الأطباء وغيرهم. غير أنه كان لها أهمية خاصة في دراسة علم الحديث الذي ازداد الاهتمام به والتدقيق فيه

وخاصة بعدما كثر الوضع. ولدراسة تاريخ الرواة أهمية كبيرة لأنه يساعد على معرفة الصلة الزمنية بين مختلف الرواة ويوضح العلاقة بينهم، ويبيّن الأقرب منهم إلى عصر الرسول. وبالنظر إلى كثرة عدد من اهتم برواية الحديث، وإلى تشابه أسماء كثير منهم، فقد بدأت تظهر دراسات تخصصيه في ضبط أسماء الرواة وتصنيفهم حسب زمنهم.

ويتصل علم الطبقات بعلم الرجال؛ وهو علم مهم ومعقد، فأما أهميته فتأتي في الصلة الوثيقة بين الرجل وآرائه، وأما التعقيد فقد جاء من العدد الهائل للرجال الذي اشتغلوا بالحديث وروايته، مما أدى إلى الارتباك في ضبط أسماء بعضهم وصدور أحكام متباينة من العلماء في حق البعض منهم، وكذلك في الجفاف الذي يبدو على هذه الكتب. غير أن هذا لا يحجب الأهمية البالغة للمعلومات الواردة في كتب علم الرجال، ولا التقدم العظيم الذي ضمنته دراسة علم الرجال في ضبط علم الحديث وتقدم علم التاريخ ودراسته.

لقد ذكرنا أن المقاتلة العرب استوطنوا في الأمصار التي أصبحت مراكز الحياة السياسية والاقتصادية والفكرية، وقد نمت في كل عصر دراسات خاصة، واتخذت البحوث فيه طابعاً معيناً، حتى أصبحنا نسمع عن مدرسة الكوفة أو البصرة أو المدينة، وأصبح يتردد ذكر رأي أهل الكوفة أو البصرة أو المدينة. ومن الطبيعي أن يتأثر الفرد في نشأته بالبيئة المحيطة به، وقد أدى استقرار الأحوال وقلة الاختلاط بين الأمصار إلى نشوء تقاليد خاصة، وإلى الاهتمام بمشاكل معينة في كل مصر؛ لذلك كانت دراسة الأمصار ذات أهمية خاصة لمعرفة الاتجاهات الفكرية.

في هذه الظروف الفكرية نشأ خليفة بن خياط في البصرة، وألّف كتابه «الطبقات» ونظمه على أساس المدن والطبقات، وذكر فيه تراجم عدد كبير من رجال السّلف، وصنّفهم على أساس المدن والعشائر والطبقات. وكان مركزاً في دراسته، دقيقاً في بحثه، مُعتمداً في معلوماته. وبالرغم من صغر حجم كتابه إذا قورن بكتاب الطبقات الكبير لمعاصره ابن سعد، فإنه لا يزال ذا قيمة خاصة بالنظر لمكانة خليفة بن خياط ولزمنه المبكر، فكتابه يلقي ضوءاً على الاتجاهات الفكرية وأساليب البحث في هذا العصر الأول.

٤ ـ منهج خليفة بن خياط في كتابه الطبقات:

أ ـ طبيعة مادة الطبقات: يقتصر خليفة في تراجمه على ذكر نسب الرجل لأبيه وأمه، ويرجع بالأنساب إلى ما قبل الإسلام. وهو بذلك يقدم مادة غزيرة في النسب كانت موضع اعتماد الآخرين[1]، على أن تأكيده على الأنساب إنما هو في الصحابة والتابعين، وكلما تأخرت الطبقة قلّ ذكر الأنساب حتى يتلاشى في الطبقات المتأخرة، وتبرز النسبة إلى المدن والمهن، وذلك لارتباط العرب بالمدن بعد أن استقروا فيها ولاختلاطهم بالأعاجم وضياع الأنساب. وفي الطبقات الأولى من أهل الشام تظهر النسبة إلى القبائل وإلى جانبها النسبة إلى المدن، ولكن في الطبقات المتأخرة تتلاشى النسبة إلى القبيلة. وإضافة إلى ذكر خليفة نسب الرجل فإنه يذكر كنيته ويحدد المكان الذي عاش فيه سواء بصورة دائمة أو مؤقتة فيذكر رحلته في الأمصار، وكذلك يقدم خليفة معلومات دقيقة

(١) خليفة : الطبقات ص ٣١٩ .

عن خطط البصرة عند تحديده موضع دار الرجل منها. ولكن ذلك اقتصر على البصرة، إذ لم يذكر عن خطط بقية المدن شيئاً سوى موضعين في الكوفة هما المسجد وسوق المراصع.

وكذلك فإن المواضع التي ذكرها في البصرة محدودة ومتجاورة وهي: المسجد الجامع، سكة المربد، سوق التبانّين، سكة اصطفانوس، سكة النجارية، سوق الوزانين، باب الأصبهاني، العوقة، مقبرة بني يشكر، مقبرة بني هلال، حضرة بني يشكر، حضرة الشريد، قنطرة قرة، جوبة أوس، مربعة الأحنف، السوق.

ويهتم خليفة في تراجمه بذكر سني الوفاة حيث اعتمد عليه فيها الآخرون، وأحياناً يذكر من صلى على الرجل حين وفاته، إن كان من ذوي المكانة والشرف.

وهو في تراجم الصحابة يذكر للصحابي حديثاً يرويه عن النبي ﷺ مما له أهميته في التعريف بالصحابي، حيث أن الرواية مباشرة عن النبي هي إحدى وسائل معرفة الصحابة وتمييزه[1]. ويذكر أيضاً اشتراك الرجل في الغزوات والفتوح مما له أهمية اجتماعية، وكذلك الوظائف الإدارية التي شغلها بعض الذين ترجم لهم. وقد اقتصر على ذكر وظائف الولاية والقضاء. وهو قلّما يُسمّي الشيوخ الذين أخذ عنهم صاحب الترجمة، وكذلك نادراً ما يسمي التلاميذ الذين رووا عنه، ولا يذكر تفاصيل عن حياة الرجال وأحوالهم وصفاتهم الجسمية والخلقية والأحداث الهامة التي وقعت لهم كما يفعل ابن سعد في طبقاته مثلاً.

---

(١) اعتمد عليه المؤرخون لمعرفة الانساب وسني الوفيات على وجه الخصوص.

كذلك لا يستعمل خليفة عبارات الجرح والتعديل في الطبقات، حيث لا أثر لأقوال له في نقد الرجال، إلّا في موضع واحد من تاريخه حيث وردت عبارة في توثيق عمران بن أبي عاتكة وهي قول خليفة كان «ثقة في الحديث»[1]، كما حكى ابن حجر أن البخاري نقل عن خليفة في باب التجارة في البحر توثيق مطر بن طهمان الوراق فقال: وقال خليفة «لا بأس به»[2].

وقد اهتم خليفة بذكر الموالي الذين اشتغلوا برواية الحديث، وذلك في أجيال التابعين وتابعيهم ومن تلاهم حيث نشط الموالي في الرواية خاصة بمكة، كما تدل على ذلك التراجم التي ذكرها خليفة عن رواة الحديث من أهل مكة.

٥ ـ أسس تنظيم طبقات خليفة:

اتبعت كتب علم الرجال في تنظيم مادتها أسساً ثلاثة، مجتمعة أو منفردة، وهي التنظيم على أساس النسب أو الطبقات أو المدن، تستوي في ذلك الكتب التي أُلِّفت في جيل خليفة أم بعده، كما اتبع بعضها الآخر الترتيب على حروف المعجم. وقد اقتصر بعض المصنفين على واحد من هذه الأسس فنظَّم كتابه بموجبه، فيما جمع بعضهم الآخر في ترتيب مادته بين أساسين أو أكثر. وقد اتبع خليفة الأسس الثلاثة التالية في تنظيم طبقاته:

(١) ابن حجر: الاصابة في تمييز الصحابة ١/٦.
(٢) خليفة: التاريخ ص ٦٦٤.



أ ـ التنظيم على أساس النسب:

كان للأنساب أهمية كبيرة عند العرب في الجاهلية فاهتموا بحفظها. وكان شعرهم الذي يكوِّن الشطر الأكبر من أدبهم يحتوي على ثروة من علم الأنساب. ولا شك أن حياة البداوة التي جعلت من القبيلة أكبر وحدة اجتماعية وسياسية في حياتهم لها دخل كبير في اهتمامهم بالأنساب، إذ لا بد لأفراد القبيلة من معرفة مفاخر آبائهم وأجدادهم، وأصالة أنسابهم. كما لا بد لهم من معرفة مثالب القبائل الأخرى، فبذلك يوفرون لأهم أغراض شعرهم: الفخر والهجاء.

وقد استمر الاهتمام بالأنساب بعد ظهور الإسلام وانتشاره وقيام دولته، فلم يمنع الإسلام الاهتمام بالأنساب وإن كان قد قاوم العصبية القبلية، واعتبر كل عصبية جاهلية. ذلك أن العصبية شيء ومعرفة الأنساب شيء آخر، فقد حث القرآن الكريم على التعارف، ولا يكون التعارف دون معرفة الأنساب(1).

وقد نسب النبي ﷺ نفسه، وحضَّ على تعلم الأنساب، فعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ «تعلموا أنسابكم تصلوا أرحامكم»(2). وكان الرسول يعرف أنساب العرب، وربما نسب بعض أصحابه، فقد ذكر خليفة في طبقاته ما يلي:

«قال عمرو بن مرة الجهني: كنت عند رسول الله ﷺ فقال: من

---

(1) ابن حجر: تهذيب التهذيب ١٠/١٦٨.

(2) كقوله تعالى: ﴿ يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا أن أكرمكم عند الله اتقاكم ﴾ سورة الحجرات آية ١٣.



كـان من معد فليقم: فقمت فقـال لي: اجلس، فعل ذلـك ثـلاثـاً. قلت يـا رسول الله ممن نحن؟ قـال: أنتم من قضاعـة بن مالـك بن حمث بن سبأ» وكان أبـو بكر الصـديق رضي الله عنـه أعلم قـريش بأنسـابهـا، شهـد لـه النبي ﷺ بـذلـك[1]. كمـا ورد عن عمـر بن الخـطاب رضي الله عنه قـوله: «تعلمـوا من الأنساب مـا تصلون بـه أرحامكم، وتعرفون به ما يحل لكل مما حرّم عليكم من النساء، ثم انتهوا»[2]. أي انتهوا عن التفاخر المؤدي إلى العصبية.

وقد حدث في حياة الرسول ﷺ، أن اجتمع بعض الصحابة على رجـل يحدث بـالأنساب في المسجـد، فيذكـر ابن عباس رضي الله عنه أن النبي ﷺ دخل المسجد، فإذا جماعة فقال: ما هـذا؟ قالـوا رجل علاّمة. قال النبي ﷺ: وما العلاّمة؟ قالـوا: رجل عـالم بأيـام الناس وعالم بـالعربيـة، وعالم بـالأشعار، وعـالم بأنسـاب العرب. فقـال رسول الله ﷺ: هـذا علم لا يضر أهله[3]. وبـإسناد آخـر عن أبي هريرة أنه قال: «هـذا علم لا ينفع وجهـل لا يضر»[4]. وهكـذا لم ينـه النبي ﷺ عن الاجتمـاع على تعـلم الأنسـاب والأخبـار والأشعار، وقد حدث الكلام عنهـا في مسجده بـالذات، وأمـا قولـه هذا علم لا ينفع في رواية أبي هريـرة فلعله أراد الأشعار والأخبـار،

---

(١) الحـاكم النيسابـوري: معرفـة علوم الحـديث ١٦٩، ابن حـزم: جمهـرة انساب العرب ص ٣٠

(٢) خليفة: الطبقات ص ٦٧.

(٣) الحاكم: معرفة علوم الحديث ١٦٩.

(٤) السمعاني: الانساب ١/١١.

لأن نفع علم الأنساب ظاهر، وقد حض ﷺ على تعلّمه[1]، إذ أن قسماً من أحكام الشرع يحتاج تطبيقها إلى معرفة علم الأنساب. ولذلك كانت معرفة بعض الأنساب فرضاً على المسلمين، كمعرفة نسب النبي ﷺ، ومعرفة أن الخلافة لا تجوز إلاّ في قريش. فلو جُهلت الأنساب لأمكن ادّعاء الخلافة لمن لا تحلّ له، وكمعرفة الإنسان أباه وأمه وكل من يلقاه بنسب في رحم محرمة لما يترتب على ذلك من أحكام الزواج والمواريث[2].

هذا وقد رتّب عمر بن الخطاب رضي الله عنه ديوان الجند الذي أنشأه على القبائل، وقد راعى القرابة من النبي ﷺ في تسلسل القبائل التي سجّلها، فقدم بني هاشم على غيرهم من العشائر القرشية، وقدم قريش على غيرها من القبائل العربية[3]. وقد أصبح هذا التسلسل في ترتيب العشائر أساساً اتبعته كتب النسب التي كتبت في النصف الثاني من القرن الثاني الهجري فيما بعد. ويمكن أن نعتبر ديوان الجند أول تقييد رسمي للأنساب. وكانت الحاجات العملية للدولة هي التي أدّت إلى ظهور ديوان الجند، فقد أعطت السابقة في الإسلام والمشاركة في الغزوات الأولى مع النبي ﷺ أصحابها مكانة مرموقة بين المسلمين. وهذا ما حدث للمهاجرين الأولين ومن شهد معركتي أُحُد وبدر وأهل بيعة العقبة.

---

(١) السمعاني : نفسه ١/٩.

(٢) السمعاني : نفس المصدر والصفحة.

(٣) يرى ابن حزم أن حديث «هذا علم لا ينفع وجهل لا يضر» حديث موضوع لا تصح نسبته إلى النبي ﷺ انظر جمهرة انساب العرب ٣ ـ ٤.

وقد امتدت آثار ذلك إلى أبنائهم وأحفادهم، فاهتم هؤلاء بحفظ أنسابهم والتعريف بها لما في ذلك من قيمة اجتماعية. كما ينبغي أن لا ننسى أن أهل السابقة في الجهاد تمتعوا بامتيازات اقتصادية زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه[1].

وقد ظل التماسك القبلي قوياً عندما استقر العرب في الأمصار المفتوحة. فكانت خطط الأمصار كالبصرة والكوفة قائمة على أساس قبلي، حيث سكنت كل عشيرة في موضع خاص بها[2]. وكانت القبيلة هي الوحدة العسكرية في ميادين القتال، كما كانت أساساً للتنظيم الاجتماعي والإداري في الأمصار[3]. هذه العوامل مجتمعة جعلت معرفة الأنساب ضرورة دينية واجتماعية وعسكرية وإدارية، فاستمر الاهتمام بها حيث برز في ظهل الدولة الإسلامية عدد من كبار النسّابين الذين كانوا يعتمدون على ذاكرتهم قبل بدء تدوين الأنساب، منهم من جيل الصحابة أبو جهم بن حذيفة بن غانم القرشي العدوي. فهو أحد أربعة كانت قريش تأخذ منهم علم النسب[4]. وقد استمر اهتمامه بالأنساب بعد إسلامه، وجبير بن مطعم بن عدي الذي كان من أعلم الناس بالأنساب[5]، ودغفل بن حنظلة السدوسي الذي اختاره معاوية بن أبي سفيان لتعليم ابنه يزيد

---

(١) ابن جزم : جمهرة انساب العرب ص ٢ .

(٢) ابن سعد : الطبقات الكبرى ٣/٢٩٢ - ٢٩٦ ، الطبري : تاريخ الرسل والملوك ٢/٥٨٦ .

(٣) ابن سعد : الطبقات الكبرى ٣/٢٩٦ .

(٤) احمد كمال زكي : الحياة الادبية في البصرة ص ٢٧ - ٢٩ .

(٥) صالح العلمي : التنظيمات الاجتماعية في البصرة ص ٣٨ ، ٤٠.

علم الأنساب[1] وعبيد بن شرية الذي اشتهر بمعرفة أنساب وأخبار اليمن، وصحار العبدي والشرقي ابن القطامي وغيرهم[2]. وقد استمر الاهتمام بالأنساب خلال القرنين الأول والثاني الهجريين، ولكن التأليف في الأنساب بدأ في النصف الثاني من القرن الثاني الهجري، ولعلّ أول من ألّف في الأنساب هو أبو اليقظان النسابة (ت ١٩٠ هـ)، ومعاصره مؤرج بن عمرو السدوسي (ت ١٩٥ هـ)، وهشام بن الكلبي (ت ٢٠٤ هـ). وهؤلاء النسّابة الثلاثة عراقيون، حيث تركزت فعاليات النسّابين خلال القرنين الأولين للهجرة في الكوفة والبصرة، وهما مركزان نشيطان للقبائل العربية[3].

ولم يقتصر الاهتمام بالأنساب على النسّابين الذين كانت الأنساب مادتهم الرئيسية، فقد اهتم المحدثون أيضاً منذ القرون الأولى بالأنساب، فلا نجد محدثاً كبيراً إلاّ وله علم بالنسب. وممّن عرف بذلك سعيد بن المسيب أحد كبار التابعين، وقد تابعه في الاهتمام بالأنساب ابنه محمد بن سعيد[4] وتلميذه محمد بن شهاب الزهري، وقتادة بن دعامة السدوسي الذي قال فيه أبو عمرو بن العلاء «إنه كان من أنسب العرب»[5]، والقاسم بن ربيعة، وكان

---

(١) ابن عبد الله : الاستيعاب ١٦٢٣/٤.

(٢) ابن حزم : جمهرة انساب العرب ص ٥ .

(٣) ابن عبد الله : الاستيعاب ١٦٢٣/٤ وقال : «يقال أن له صحبة ورواية ولا يصح سماعه عندي من النبي صلعم».

(٤) ابن النديم : الفهرست ١٣٧ ـ ١٣٨.

(٥) الدوري : نشأة علم التاريخ عند العرب ص ٣٤ .

الحسن البصري إذا سئل النسب قال: «عليكم بالقاسم بن ربيعة»[1].

وترجع عناية المحدثين بالأنساب إلى أهميتها في معرفة رواة الحديث. ولذلك فقد استمر الاهتمام بالأنساب في أوساط المحدثين خلال القرن الثاني الهجري. وعندما ظهرت المصنّفات في رجل الحديث احتوت مادة غزيرة في النسب. وليست مادة النسب هذه دخيلة على علم الرجال، فالأصل في كتب الرجال التعريف بالرواة بذكر أنساب أبائهم وأمهاتهم. وقد انتقد ابن الأثير كتابي أبي عبد الله بن مندة وأبي نعيم الأصبهاني في معرفة الصحابة لأنهما أكثرا ذكر الأحاديث والكلام عليها وبيان عللها، ولم يطيلا نسب الشخص وأخباره وأحواله ممّا يعرّف به، وامتدح من ناحية ثانية كتاب ابن عبد البر القرطبي «الاستيعاب في معرفة الأصحاب» لأنه استقصى ذكر الأنساب وأحوال الشخص ومناقبه، وكل ما يعرف به، حتى أنه يقول هو ابن أخ فلان، وابن عم فلان، وصاحب الحادثة الفلانية، وكان هذا هو المطلوب من التعريف. أما ذكر الأحاديث وعللها وطرقها فهو بكتب الحديث أشبه[2]. وهكذا أوضح ابن الأثير أن النسب من المادة الأساسية في علم الرجال، وليس غريباً إذا وجدنا بعض المصنفين في علم الرجال يرتبون مادتهم على النسب.

والترتيب على النسب يعني أن المصنّف يجمع الرواة الذين هم

---

(١) ابن حزم : جمهرة انساب العرب ص ٥.

(٢) ابن سعد : الطبقات الكبرى ١٥٢/٧.

من عشيرة أو قبيلة واحدة في موضع واحد يقدِّم لهم مثلاً بقوله: ومن قريش، ثم من بني هاشم فلان وفلان ـ ويذكرهم، ثم يتبع نسقاً معيناً في عرض القبائل والعشائر بأن يبدأ بمضر ثم قحطان، ولا يقدم قحطان على مضر، كذلك يبدأ من مضر بقريش، ثم بقية قبائل مضر. وهذا التقديم قائم على أساس القرابة من النبي ﷺ. وهذا التسلسل هو الذي اتبعه عمر بن الخطاب في تدوين التدوين. ولما ظهرت كتب الأنساب تقيّدت بهذا التسلسل، ثم امتد هذا التنظيم إلى كتب الرجال التي نظمت مادتها على النسب، بل امتد أيضاً إلى بعض مسانيد الحديث التي رتبت الشيوخ على القبائل[1]. ومن هذا يتضح أن تنظيم القبائل بهذا الشكل إسلامي بحت، ولا يرجع إلى أصول جاهلية.

ومن أقدم من أخذ بهذا الترتيب على النسب من المصنّفين في الرجال خليفة بن خياط (ت ٢٤٠ هـ). وقد جعل خليفة النسب هو الأساس الوحيد في ترتيب الصحابة في المدينة، دون أن يأخذ بعين الاعتبار السابقة في الإسلام، وتقدّم سنة الوفاة، ولا التفاضل بين الصحابة. وبهذه الطريقة استطاع أن يعرض الرواة من الصحابة على أساس العشائر دون إخلال بهذا الأساس، سواء في ما كتبه عن الصحابة في المدينة أو ما كتبه عن الصحابة في الأمصار كالكوفة والبصرة، وكذلك فعل عند كلامه عن الصحابة الذين نزلوا في بلاد الشام. ويستمر التقسيم على النسب ظاهراً في طبقات خليفة عند كلامه على التابعين في الكوفة والبصرة والمدينة، ولا يتجاوز هذا الأساس إلّا في موضع

---

(١) السيوطي: تدريب الراوي ٣٥٤ ـ ٣٥٥.

واحد فقط عند ذكره للطبقة الثانية من التابعين في المدينة، فقد قدّم أبناء المهاجرين على غيرهم معتبراً السابقة في الإسلام، ولكنه عاد بعد ذلك إلى الترتيب النسبي.

وقد حافظ خليفة بن خياط على النسق الذي اتبعه في تسلسل القبائل من بداية كتابه حتى يتلاشى عنده الترتيب على النسب بعد التابعين، مما يؤكد أن تسلسل القبائل عنده لم يكن مجرد ترتيب عرضي، بل هو أمر مقصود قائم على فكرة القرابة من النبي ﷺ، وهو بذلك يتابع كتب الأنساب. هذا الترتيب على النسب يختفي بعد طبقة التابعين، ولا يعود إلى الظهور إلّا في القسم الأخير الذي خصّصه للنساء.

وهكذا نجد أن خليفة بن خياط، ومعاصره محمد بن سعد (ت ٢٣٠ هـ)، اهتما بالترتيب على النسب في القسم الذي خصصاه للصحابة من كتابيهما في الطبقات، على اعتبار أن أنساب الصحاب معلومة، في حين تقل مراعاتهم لذلك في بقية أقسام كتابيهما. ولا يوجد ما يشير إلى استمرار الترتيب على النسب بصورته الدقيقة كما استخدمه خليفة بن خياط أو محمد بن سعد فيما بعد القرن الثالث الهجري عند معظم المصنفين في معرفة الصحابة الذين تركوا الترتيب على النسب لأنه يجعل تناول الكتاب والإفادة منه من الصعوبة بمكان، ولذلك لجأوا إلى الترتيب على حروف المعجم خاصة وأن كتبهم اشتملت على كثيرين من الموالي والعرب الذين لم تضبط أنسابهم كما ضبطت أنساب الصحابة، فإذا كانت كتب معرفة الصحابة قد تخلت عن الترتيب على النسب منذ



الطبقة الثانية للتابعين، فمن الحري أن لا نتوقع استمرار الترتيب على السنين في كتب الرجال الأخرى المتأخرة.

ب ـ الترتيب على أساس الطبقات

تذكر معاجم اللغة كلمة «الطبقة» في مادة «طبق». وطَبَقٌ من الناس أي جماعة، وطبقات الناس، مراتبهم[1] . قال ابن الأعرابي «الطَبَقُ الجماعة من الناس يعدلون جماعة مثلهم»[2]. وقد حاول اللغويون المتقدمون تحديد الطبقة زمنياً، فذكر الهجري عن ابن عباس: الطبقة عشرون سنة[3] . وإذا سلّمنا بهذا التحديد فأنه يصعب علينا التسليم بظهور فكرة الطبقات بهذا الوضوح والدقة في جيل ابن عباس. كما لا يمكن في هذا المجال التعديل على حديث، «امتي على خمس طبقات كل طبقة أربعون عاماً، فأما طبقتي وطبقة أصحابي فأهل علم وإيمان، وأما الطبقة الثانية ما بين الأربعين إلى الثمانين فأهل برٍ وتقوى، ثم الذين يلونهم إلى عشرين ومائة سنة أهل تراحم وتواصل، ثم الذين يلونهم إلى ستين ومائة، أهل تدابر وتقاطع، ثم الهرج الهرج. النجا النجا»[4]. وقد أورده ابن الجوزي ضمن الموضوعات من الأحاديث[5].

---

(١) الجوهري : الصحاح ١٥١٢/٤.

(٢) ابن منظور : لسان العرب ٧٩/١٢.

(٣) ابن منظور : لسان العرب ٨٠/١٢ ، الزبيدي : تاج العروس ٤١٤/٦.

(٤) ابن ماجة : السنن ١٣٤٩/٢.

(٥) ابن ماجة : السنن ١٣٤٩/٢ انظر الحاشية .

وقد أطلقت الطبقة مجازاً على القرن، إذا اقتصرنا على تحديد معين للقرن وهو الجيل[1]. ورغم هذه المحاولات في تحديد الطبقة زمنياً، فإن استعمال الطبقة كوحدة زمنية ثابتة لم يظهر إلّا في فترة متأخرة جداً، وذلك حين استعملها الذهبي وجعلها تساوي عشر سنين[2].

ويرى روزنتال إن تقسيم الطبقات إسلامي أصيل، وأنه أقدم تقسيم وجد في التفكير التاريخي الإسلامي، وأنه نتيجة طبيعية لفكرة صحابة الرسول، فالتابعون الخ. ولا علاقة له بمؤثرات خارجية[3]. ومما يؤيد هذا الرأي حديث أورده البخاري ونصّه «خير أمتي قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم»[4]. فخير القرون الصحابة، ثم التابعون، ثم أتباع التابعين.

أما أبسط أشكال التقسيم على الطبقات هو استعمالها بمعنى جيل. ولكن أقدم استعمال للطبقة لم يكن بمعنى الجيل، وإن كان التقسيم إلى صحابة، تابعين، أتباع التابعين واضحاً تمام الوضوح في أقدم ما وصل إلينا من كتب الطبقات. ولكنه بمثابة إطار يحتوي على تقسيمات أصغر ضمنه. فقد قسم الصحابة وحدهم إلى عدة طبقات بلغت أحياناً اثنتي عشر طبقة، بالنظر إلى السبق في الإسلام، والهجرة، وشهود المشاهد مع رسول الله (صلعم)[5].

---

(١) ابن منظور : لسان العرب ١٢/ ٨٠ ، الزبيدي : تاج العروس ٦/٤١٤ .

(٢) الذهبي : تاريخ الاسلام .

(٣) روزنتال : علم التاريخ عند المسلمين ١٣٣ ـ ١٣٤ .

(٤) البخاري : الصحيح ٥/٢ ـ ٣ .

(٥) الحاكم النيسابوري : معرفة علوم الحديث ٢٢ ـ ٢٥ .

وكذلك قسم كل من التابعين وأتباع التابعين إلى عدة طبقات. وقد تباين عدد طبقات كل من الصحابة والتابعين والأتباع في كتب الرجال لأن ذلك يتصل باجتهاد المصنف.

ومن أقدم كتب الطبقات التي وصلتنا كتاب «الطبقات» لخليفة بن خياط. وهو يعتبر الصحابة كلهم طبقة واحدة، إذ لم يعتبر شرطاً غير كونهم صحابة. لذا لم يأبه إلى السابقة في الإسلام، أو الفضل. كما يفعل معاصره محمد بن سعد في طبقاته.

وأما التابعون وأتباع التابعين فقد قسّمهم إلى عدة طبقات يتباين عددها بين المدن. ولم يميز بين طبقات التابعين وتابعيهم ومن بعدهم، بل ذكر طبقات الرواة بتعاقب حتى عصره.

كما لم يعتمد خليفة بن خياط سني الوفاة أساساً في التقسيم على الطبقات. فالتداخل كبير بين سني وفيات تراجم الطبقات المتتالية. فنحن نجد أن وفيات الطبقة الرابعة من البصريين مثلاً تتراوح بين (١١٠ ـ ١٥٥ هـ)، بينما وفيات الطبقة الخامسة تتراوح بين (١٢٨ ـ ١٣٢ هـ)، كذلك تتروراح وفيات الطبقة السادسة منهم بين (١٣٦ ـ ١٥٦ هـ)، في حين تتروراح وفيات الطبقة السابعة منهمت بين (١٤٩ ـ ١٥٥ هـ). فما هو الأساس الذي يقوم عليه التقسيم على الطبقات عند خليفة بن خياط؟.

لقد استعمل خليفة بن خياط الطبقة للدلالة على القوم المتشابهين من حيث اللقاء والسّن، وبعبارة أدق من حيث تقاربهم في السن وفي الشيوخ الذين أخذوا عنهم. وذكر التقارب في السن لا يتناقض مع القول إن طبقات خليفة لم تعتبر الوفيات أساساً تقوم

عليه، أذ أن من الطبيعي أن من يلقى كبار الصحابة يكون متقدماً في السن وتتقدم وفاته في العادة على وفاة من يلقى صغار الصحابة، ولذلك نجد أن وفيات الطبقة الأولى غالباً ما تتقدم على وفيات الطبقات التالية. أن عدم اعتبار سني الوفيات أساساً للتقسيم على الطبقات هو الذي جعل الطبقة، في فترة النشأة لا تتخذ مفهوم الوحدة الزمنية الثابتة، فمرة تكون حوالي العشر سنوات، وأخرى تقارب العشرين سنة، وثالثة في حدود الجيل وربما تجاوزته.

إن كتاب خليفة «الطبقات» في تراجم المحدثين، قد وضع لخدمة علم الحديث، ومن ثم فقد جاء ترتيبه على الطبقات ملائماً لهذا الغرض، ذلك أن التمييز بين طبقات الصحابة والتابعين ومن بعدهم لها علاقة بنقد أسناد الحديث، فهو وسيلة لمعرفة ما في الحديث من إرسال أو انقطاع[1]، أو عضل أو تدليس[2]. وبمعرفة طبقات الرواة أيضاً يمكن التمييز بين الأسماء المتشابهة والمتفقة، فقد يتفق إسمان في اللفظ فيظن أن أحدهما الآخر، فإذا أردنا التمييز بينهما فينبغي معرفة طبقتيهما، إن كانا من طبقتين. فإن كانا من طبقة واحدة فربما أشكل الأمر، وربما عرف ذلك بمن فوقه أو دونه من الرواة، فربما كان أحد المتفقين في الإسم لا يروي عمّن

(١) المرسل هو ما سقط من إسناده اسم الصحابي، أما المنقطع فهو الذي سقط من سنده رجل ليس بصحابي.

(٢) المعضل هو ما سقط من سنده اثنان فصاعداً، أما المدلس فهو أن يروي المحدث عمن لقيه ما لم يسمعه منه، أو عمّن عاصره ولم يلقه موهماً أنه سمعه منه.

روى عنه الآخر. فإن اشتركا في الراوي الأعلى وفيمن روى عنه فالإشكال حينئذٍ أشد، وإنما يميز ذلك أهل الحفظ والمعرفة.

وبسبب الجهل بالطبقات غلط غير واحد من المصنفين، فربما ظنّ راوياً، راوياً آخر غيره، وربما أدخل راوياً في غير طبقته. إن فائدة التقسيم على الطبقات تتم فيما لو اتّبع المصنفون تقسيماً واحداً، ولم يتباين عدد الطبقات بين مصنف وآخر. فتباين عدد الطبقات عندهم يجعل النسبة إلى الطبقة ليست مطلقة، بل تتقيد بطريقة كل مصنِّف. فأنس بن مالك وغيره من صغار الصحابة مع العشرة وغيرهم من آكابر الصحابة، من طبقة واحدة إذا نظرنا إلى تشابههم في أصل صفة الصحبة كما فعل خليفة، أما إذا نظرنا إلى تفاوت الصحابة في سوابقهم ومراتبهم كانوا عدة طبقات كما فعل ابن سعد ومن قلّده. وعندها لا يكون أنس وغيره من صغار الصحابة من طبقة العشرة بل دونهم بطبقات[1].

وقد أخذ ابن حجر العسقلاني، وهو متأخر جداً (ت ٨٥٢ هـ) على نظام الطبقات أنه يوهم أحياناً، ذلك أن للصحابي رواية عن النبي (صلعم) وعن غيره، فإذا رأى من لا خبرة له رواية الصحابي عن الصحابي ظن الأول تابعياً، فيكشفه في التابعين فلا يجده، لذلك رأى ابن حجر إن سياق الرواة على اختلاف طبقاتهم مساقاً واحداً على الحروف أولى[2].

ورغم المآخذ على نظام الطبقات، إلّا أنه كان ملائماً لأغراض

(١) ابن الصلاح : مقدمة ابن الصلاح ١٦٠ ـ ١٦١ .
(٢) ابن حجر : تهذيب التهذيب ١/ ٧ .

الحديث التي ابتكر من أجلها، ومن ثم فأن استعماله لم يقتصر على خليفة بن خياط، أو محمد بن سعد صاحب الطبقات الكبرى، بل استعمله معاصرون لهم ومتأخرون عنهم، واستمر أساساً تتبعه المصنفات في الرجال حتى القرن الثامن الهجري، كما امتد إلى كتب التراجم الأخرى، كتراجم القراء، والفقهاء، والصوفية، والشعراء، والأدباء، والنحاة، والأطباء[1] مما يدل على تأثير نظام الطبقات وشيوع استخدامه في مجالات عديدة، في حين أنه لم يبتكر إلّا لخدمة علم الحديث.

ج ـ التنظيم على أساس المدن

أن نصيب المدن في طبقات خليفة يتوقف على مكانتها العلمية ومدى نشاط الرواية فيها، فكلما كان عدد علمائها كثيراً، وكانت الرواية فيها نشيطة، كلما خصّص لها خليفة نصيباً أوفر في كتابه، لذلك كان نصيب المدينة المنورة وافراً حيث خصّص لها خليفة بن خياط أكثر من ثلث كتابه،وذلك لأن المدينة دار السنة، فيها تجمع الصحابة في حياة الرسول (صلعم) عن طريق الهجرة، وتلّقوا الرواية عن النبي، فكانوا مصادر العلم لمن جاء بعدهم من حملة العلم ورواة الآثار. ومن المدينة انتشر العلم إلى بقية المدن والأمصار بخروج عدد كبير من الصحابة منها بعد وفاة

---

(١) مثل طبقات القراء لخليفة بن خياط ، وطبقات الفقهاء لابي اسحق الشيرازي (ت ٤٧٦ هـ) وطبقات الصوفيه لابي عبد الرحمن السلمي (ت ٤١٢ هـ) وطبقات الشعراء لمحمد بن سلام الجمحي (ت ٢٣٢ هـ) ونزهة الالباء في طبقات الادباء لابن الانباري (ت ٥٧٧ هـ) وطبقات النحويين لابي بكر الزبيدي (ت ٣٧٩ هـ) وطبقات الاطباء والحكماء لابي داوود سليمان بن حسان الاندلسي (ت ٣٧٧ هـ) .

النبي (صلعم)، حيث استقروا في البلاد المفتوحة ونشروا العلم والرواية فيها. أما بقية مدن الحجاز فقد كان دورها في الرواية ضئيلاً إذا قيست بالمدينة، وتبرز بينها مكة بسبب مركزها الديني واجتماع العلماء فيها في مواسم الحجّ حيث يعقدون بعض الحلقات العلمية خلال هذا الموسم، كما برز بعض الموالي من أهلها في العلم والرواية ويظهر نشاط الرواية بصورة قوية تكاد تضاهي المدينة، في العراق، وعلى وجه التحديد، في الكوفة والبصرة، فقد استقر فيهما عدد كبير من الصحابة ومنهم من اشتهر بقراءة القرآن مثل أبي موسى الأشعري، وفيهم من عرف بالفقه مثل عبد الله بن مسعود الذي أسس مدرسة في الكوفة برز من بين تلاميذها عدد من جهابذة العلم. كما كان للدور السياسي الذي لعبته الكوفة في القرن الأول الهجري خاصة أثر كبير في تنشيط الرواية فيها. فالنزاع السياسي بين دمشق والكوفة جعل الحاجة إلى الرواية ماسة لدعم وجهات نظر المتنازعين، في عصر كان أهله يهتمون كثيراً بموافقة أعمالهم للشرع الذي كان يعني آنذاك نصوص القرآن والحديث. أما دور البصرة في الرواية فهو تالٍ لدور الكوفة. ومع إن عدد من نزلها من الصحابة لا يقل عن عدد من نزلوا في الكوفة، إلاّ أن عدد من اشتهر بالرواية من التابعين من أهل البصرة أقل من عددهم في الكوفة. ويلاحظ تأخر بناء مدينتي واسط وبغداد فلم ينزل فيهما صحابي ولا تابعي، بل نزح إليهما تابعي التابعين من الكوفة والبصرة، لذلك لم تحظيا بنصيب وافر من طبقات خليفة بن خياط، وكذلك كان حال المشرق الإسلامي الذي لم يكن قد برزت أهميته في الرواية خلال القرنين الأولين للهجرة، لذلك لم ينل عناية كبيرة عند خليفة بن خياط أما دور الغرب

الإسلامي فكان ثانوياً في الرواية خلال القرنين الأولين، إلاّ الشام التي نزلها عدد كبير من الصحابة، وتليها من حيث نشاط الرواية مصر. أما الجزيرة والعواصم والثغور، وايله وأفريقية والأندلس فلم تبرز في هذه الفترة المبكرة، لذا كان حظها في كتاب «الطبقات» قليلاً أيضاً. ويبدو من ملاحظة تسلسل المدن عند خليفة بن خياط أنه راعى في تقديم البلدة على غيرها كثرة العلماء ونشاط الرواية، ومن هنا تقديمه المدينة، فالكوفة، فالبصرة على بقية المدن كذلك نجد أن خليفة يذكر الصحابة من أهل المدينة، ثم ينتقل مباشرة إلى الكلام عن الكوفة. قبل أن يتم طبقات أهل المدينة، ولا يعود إلى ذكر التابعين ومن بعدهم من أهل المدينة إلاّ بعد أن ينتهي كلامه عن أهل الكوفة بكافة طبقاتهم، ثم ينتقل إلى البصرة فيذكر طبقاتهم كافة وبعد أن ينتهي منهم يعود إلى المدينة فيذكر بقية طبقاتها. ولعله أراد أن يتم المادة المتعلقة بالصحابة فلاحقهم إلى الأمصار التي استقروا فيها بأعداد كثيفة.

وثمة ظاهرة تبرر عند خليفة، هي أنه لم يراع العامل الجغرافي كثيراً في تسلسل المدن التي ذكرها فهو يقفز من مكان إلى آخر، فقد انتقل من الحجاز إلى العراق ثم عاد إلى الحجاز، وكذلك لم يتناول واسط وبغداد بعد الكوفة والبصرة بل ذكرهما في آخر كتابه، ولعله اعتبر في ذلك المكانة العلمية حيث إن واسط وبغداد تأخرت عمارتهما وبالتالي تأخر ازدهار الرواية فيهما عن المدن الأخرى. وقد أهمل خليفة أماكن ذكرها ابن سعد وهي همدان وقم والأنبار والبحرين والثغور وإيله والأندلس ولكنه أضاف مراكز جديدة أهملها ابن سعد وهي الموصل والمغرب وقد تناول المغرب بشيء من التفصيل.

مقتطفات من تاريخ خليفة بن خياط
سنة أربع عشرة
(خليفة : التاريخ ص ٩٤ ـ ٩٨)

(فتح دمشق)

فيها فتحت دمشق : سار أبو عبيدة بن الجراح ومعه خالد بن الوليد فحاصرهم فصالحوه ، وفتحوا له باب الجابية ، « وفتح خالد أحد الأبواب عنوةً وأتمَّ لهم أبو عبيدة الصلح ».

فحدثني الوليد بن هشام عن أبيه عن جده قال : كان خالد على الناس فصالحهم ، فلم يفرغ من الصلح حتى عزل وولي أبو عبيدة فأمضى أبو عبيدة صلح خالد ولم يغيِّر الكتاب ، والكتاب عندهم باسم خالد . هذا غلط لأن عمر عزل خالداً حين ولي .

حدثنا عبد الله بن المغيرة عن أبيه قال : صالحهم أبو عبيدة على أنصاف كنائسهم ومنازلهم وعلى روؤسهم على أن لا يُمنعوا من أعيادهم ولا يُهدم شيء من كنائسهم صالح على ذلك أهل المدينة وأخذ سائر الأرض عنوةً .

قال ابن الكلبي : كان الصلح يوم الأحد للنصف من رجب سنة أربع عشرة صالحهم أبو عبيدة بن الجراح .

« وحدثني بكر عن ابن اسحق قال : صالحهم أبو عبيدة في رجب ».

(وقعة فِحْل)

قال ابن الكلبي : ثم كانت وقعة فِحْل يوم السبت لثمان بقين من ذي الحجة سنة أربع عشرة ، فغلب المسلمون على الأرض بعد قتال شديد فسألوا أبا عبيدة الصلح فصالحهم ، وكتبوا بينهم كتاباً .

« وحدثني بكر بن عطيّة قال : حاصرهم أبو عبيدة رجباً وشعبان وشهر رمضان وشوال ، والصلح في ذي القعدة » .

بكر عن « ابن إسحق قال : فِحْل سنة ثلاث عشرة وهي قبل دمشق » .

(فتح حمص وبعلبك)

« قال ابن إسحق وغيره : وفيها يعنون سنة أربع عشرة فتحت حمص وبعلبك صلحاً على يدي أبي عبيدة في ذي القعدة ، ويقال في سنة خمس عشرة ».

(فتوح البصرة)

« علي بن محمد عن أشياخه قالوا : بعث عمر بن الخطاب في سنة أربع عشرة شريح بن عامر أحد بني سعد بن بكر إلى البصرة وقال : كن ردءاً للمسلمين فسار إلى الأهواز فقتل بدارس فبعث عمر عتبة بن غزوان أحد بني عامر بن منصور ، في شهر ربيع سنة أربع عشرة فمكث أشهراً لا يغزو ، فبعث عمر على عمله عبد الرحمن ، ويقال عبد الله بن سهل الأنصاري فمات قبل أن يصل إلى البصرة ، وكتب عمر إلى العلاء بن الحضرمي وهو بالبحرين أن سِرْ إلى عتبة فقد وليتك عمله ، فسار العلاء فمات

بنياس من أرض بني تميم قبل أن يصل ، ثم غزا عتبة فافتتح الأُبُلَّة والفرات وأَبَزْقُباذ ، وسبي من مَيْسان منهم يسار أبو الحسن بن أبي الحسن البصري .

الذي إفتتح الفرات مجاشع بن مسعود بولاية عتبة إياه ، ويقال إفتتح مَيْسان ودَسْت مَيْسان وأبزْقاذ وشطي دجلة المغيرة بن شعبة بولاية عتبة بن غزوان .

مسلم والضحاك قالا أخبرنا سوادة بن أبي الأسود عن قتادة أن عمر بعث عتبة بن غزوان فغزا الأُبُلَّة .

مرحوم بن عبد العزيز قال حدثني أبي عن خالد بن عمير العدوي قال : غزونا مع عتبة بن غزوان الأبلة فافتتحناها ثم عبرنا إلى الفرات .

عون بن كهمس قال أخبرنا عمران بن حدير قال حدثنا رجل يقال له مقاتل عن قطبة بن قَتادة السدوسي قال « غزونا مع خالد بن الوليد الأبلة فافتتحناها» هذا غلط خالد مرَّ بالبصرة في ولاية أبي بكر .

ومن سبي ميسان أرطبان جد عبد الله بن عون .

الوليد بن هشام قال حدثني أبي عن ابن عون عن أبيه عن أرطبان قال : كنت شماساً في بيعة ميسان فوقعت في السهم لعبد الله بن ذرّ المزني .

أبو عمرو السيباني عن من أخبره عن مجالد عن الشعبي قال : صالحت طماهيج بنت كسرى أخت شيرويه عتبة بن غزوان على



ميسان ، ويقولون بعثت صاحبة نهر المَرَّة بأم أزدان فصالح ابن غزوان على ما وراء نهرها إلى موضع جسر الأكبر .

أبو اليقظان عن صدقة بن عبيد الله المازني قال حدثنا ثابت بن عمارة عن غنيم بن قيس قال كنا مع عتبة بن غزوان ، فلما انتهى البر وراء منابت القصب قال ليست هذه من منازل العرب فنزل الخُرَيْبة .صفوان بن عيسى قال حدثنا أبو نعامة عن خالد بن نعيم العدوي قال : مرَّ عتبة بن غزوان بموضع المربد فوجد الكذَّان الغليظ فقال : هذه البصرة إنزلوها بسم الله .

حدثنا غندر عن شعبة عن عقيل بن طلحة عن قبيصة قال : كنا مع عتبة بن غزوان بالخُريَبة .

حدثنا عن عبد الله بن ميمون عن عوف عن الحسن قال : إفتتح عتبة بن غزوان الأبلة فقتل من المسلمين سبعون رجلاً في موضع مسجد الأبلة ثم عبر الفرات فأخذها عنوة .

حدثنا إبراهيم بن صالح بن درهم عن أبيه سمع أبا هريرة عن النبي ﷺ «يُحشرُ من مسجد العَشَّار بالأُبُلَّة شهداء لا يقوم مع شهداء بدر واحد غيرهم» .

وفيها أمر عتبة بن غزوان محجن بن الأذرع بخطِّ مسجد البصرة الأعظم وبناه بالقصب ، ثم خرج عتبة حاجاً وخلَّف مجاشع بن مسعود ، وأمره أن يسير إلى الفرات ، وأمر المغيرة بن شعبة أن يصلي بالناس حتى يقدم مجاشع ، فجمع أهل مَيْسان للمغيرة عليه الفيْلكان عظيم من عظماء أهل أبزْقُباذ ، فظهر عليهم المغيرة وكتب

إلى عمر، فأمر عمر عتبة أن يسير إلى عمله فمات قبل أن يسير، فأقرَّ عمر المغيرة على البصرة.

وفيها بعث عمر جرير بن عبد الله البجلي على السواد، وقد كان المثنى بن حارثة يغيرُ بناحيته، فلقي جرير مهرانَ فقتل مهران وذلك في صفر من سنة أربع عشرة، وتنازع جرير والمثنى بن حارثة الإمارة، فبعث عمر سعد بن مالك وكتب إليهما أن اسمعا له وأطيعا فسمعا له وأطاعا.

وفيها مات المثنى بن حارثة. وفيها ولد عبد الرحمن بن أبي بكرة بالبصرة وهو أول مولود بها، وفيها أمر عمر بن الخطاب باجتماع الناس في القيام في شهر رمضان. وفيها حجَّ عبد الرحمن بن عوف بأزواج النبي ﷺ. وفيها مات أبو قحافة عثمان بن عمرو أبو أبي بكر الصديق. وأقام الحج سنة أربع عشرة إلى سنة ثلاث وعشرين عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

سنة خمس عشرة

خليفة : (التاريخ ص ٩٩ - ١٠٤)

(فتوح الاردن والبقاع وبعلبك وحمص)

حدثني عبد الله بن المغيرة عن أبيه قال إفتتح شرحبيل بن حسنة الأردن كلها عنوة ما خلا طبرية فإن أهلها صالحوه، وذلك بأمر أبي عبيدة وقال ابن الكلبي نحوه.

قالا: وبعث أبو عبيدة خالد بن الوليد فغلب على أرض البقاع، وصالحه أهل بعلبك وكتب لهم كتاباً.

قال ابن مغيرة عن أبيه : صالحهم على أنصاف منازلهم وكنائسهم ووضع الخراج . قال ابن الكلبي : ثم خرج أبو عبيدة يريد حمص وقدم خالداً أمامه فقاتلوه قتالاً شديداً ثم هزمت الروم حتى دخلوا مدينتهم فحصرهم فسألوه الصلح على أموالهم وأنفسهم وكنائسهم وعلى أرض حمص على مائة ألف وسبعين ألف دينار .

وحدثني عبد الله بن مغيرة عن أبيه قال صالحهم أبو عبيدة على المدينة على ما صالحهم عليه أهل دمشق وأخذ سائر أمرائهم عنوة .

وحدثني حاتم بن مسلم عن من حدثه عن ابن إسحق نحوه .

(وقعة اليرموك)

وفيها وقعة اليرموك .

بكر عن ابن إسحق قال : نزلت الروم اليرموك وهي مائة ألف من الروم وقبائل قضاعة عليهم السفلار خصي لهرقل .

قال إبن الكلبي : كانت الروم ثلاث مائة ألف عليهم باهان رجل من أبناء فارس تنصَّر ولحق بالروم ، وضمَّ أبو عبيدة إليه أطرافه وأمر الأجناد ، وأمدَّه عمر بسعيد بن عامر بن حذيم فهزم المشركين بعد قتال شديد ، وقتل منهم مقتلة عظيمة .

« قال ابن الكلبي : كانت الوقعة يوم الاثنين لخمس مضين من رجب سنة خمس عشرة » .

حدثنا بكر عن ابن إسحق قال : استشهد يوم اليرموك عمرو بن سعيد بن العاص وعكرمة بن أبي جهل وعبد الله بن سفيان بن عبد الأسد وسعيد بن الحارث بن قيس .

قال أبو الحسن : أبـان بن سعيد قتـل يوم أجنـادين ، ويقال يـوم مرج الصفر .

وقال الوليد بن هشام : قتل يوم مرج الصفر عكرمة .

قال أبو الحسن : واستشهد يوم اليرموك سهل بن عمرو والحارث ابن هشام .

(فتح نهر تيري ودست ميسان بالعراق)

وفي هذه السنة بالعراق فتـح نهر تيري ودست مَيْسان وقراها .

حـدثني الوليـد بن هشام عن أبيـه عن جده أن المغيـرة بن شعبة صالحهم على ألف ألف درهم ومائـة ألف درهم ثم كفروا فـافتتحها أبو موسى بعد .

وحـــدثني علي بن محمـــد عن النّضـــر بن إسحق عن قتـادة أن المغيرة بن شعبة إفتتح نهر تيري عنوة وقتل بها جد النوشجان وهو يومئذ صاحبها .

(موقعة القادسية)

وفيها وقعة القادسية ، على المسلمين سعد بن مالك ، وعلى المشركين رستم ومعه الجالينوس وذو الحاجب .

فحـدثني غيـر واحـد عن أبي عـوانـــة عن حصين عن أبي وائـل قـال : كان المسلمـون ما بين السبعـة آلاف إلى الثمانيـة ، ورستم بأزائنا في ستين ألفاً .

يـزيد بن زريـع عن الحجاج عن حميـد بن هلال عن خـالـد بن

عمير قال : كانوا أربعين ألفاً ، قال الحجاج فحدثني عبد الله أنه كان معهم سبعون فيلاً .

بكر عن ابن إسحق قال : كان رستم في ستين ألفاً من أخص ديوانه والمسلمون ستة آلاف أو سبعة .

حدثنا من سمع شريكاً عن عبيدة عن إبراهيم قال : كانوا ما بين الثمانية آلاف إلى التسعة آلاف وجاءهم قدر ألفين فأقاموا قدر شهر لا يلقاهم العدو ، وبعث سعد زهرة بن حوية للغارة ، فلقي شارزاذ بن أزاذبة بالسَّيْلحين، فقتل شارزاذ قتله بُكيْر بن عبدالله الليثي ، وأصابوا حلياً كثيراً وجوهراً ، وكتب سعد إلى عمر يستمده .

قال ابن زريع عن حجاج عن حميد بن هلال عن خالد بن عمير قال : أمدَّهم أهل البصرة بألف وخمس مائة كنتُ فيهم .

قال ابن إسحق : سار المغيرة بن شعبة في أربع مائة ، وقيس بن مكشوح في سبع مائة .

قال أبو الحسن : فاقتتلوا قتالاً شديداً ثلاثة أيام ، أولها يوم الاثنين لثلاث بقين من شوال ، ويقال لأيام بقين من شهر رمضان ، فهزم الله المشركين وقتل رستم يقال قتله زُهْرة بن حَويَّة ويقال هلال بن علَّفة ويقال عمرو بن معد يكرب ، ويقال مات عطشاً .

وقتل حنظلة بن ربيعة الأسدي ذا الحاجب ، وأمر سعد زُهرة بن حويَّة باتباع الفرس فلحقهم بالخَرَّار فقتل جالينوس وأخذ سلبه ، ويقال قتله كثير بن شهاب وقتلوهم ما بين الخرَّار الى السَّيْلحين إلى النجف وأمسوا فكفَّ عنهم زُهرة ورجع .

وفي حديث أبي عوانه عن حُصين عن أبي وائل قال : إتبعناهم إلى الفرات فهزمهم الله وإتبعناهم إلى الصراة فهزمهم الله فألجأناهم إلى المدائن .

وفي حديث ابن زريع عن عبد الله قال : دُقّت رجالة السبعين فيلاً في الخندق .

حدثنا من سمع أبا محصن عن حُصين عن أبي وائل قال : لقد رأيتني أعبر الخندق مشياً على الرجال قتل بعضهم بعضاً ، قال ما بهم سلاح .

(فتح المدائن)

قال أبو الحسن : ثم سار سعد من القادسية يتبعهم فأتاه أهل الحيرة فقالوا نحن على عهدنا ، وأتاه بسطام صاحب نهر بسطام فصالحه ، وقطع سعد الفرات فلقي جمعاً بَنرسْ عليهم بْصبهَر فقتله زُهرة بن حَويَّة ، ثم لقي جمعاً بكوثا عليهم الفيرزان فهزمهم الله ، ثم لقي جمْعاً بدَير كعب عليهم الفَرُّخان فهزمهم الله ، ثم سار سعد والمسلمون حتى نزلوا المدائن فافتتحوها . وقتل سعد بن عبيد بن النعمان يوم القادسية بعد أشهر .

وفيها حديث : حدثنا محمد بن عمر قال حدثنا محمد بن خازم عن الأعمش عن حبيب بن صهبان قال : كنت مع سعد بن مالك فجاءه رجل فقال ما يمنعكم من العبور إلى هذه النُطفة ثم أقحم فرسه فاعترض به دجلة ثم قرأ «ما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله» ، فأقحم الناس خيولهم فلما رآهم الفرس قالوا دَيوان ديوان ، فعبر الناس فلم يفقدوا شيئاً إلا قدحاً كان معلَّقاً على عذبة السرج ، فرأيته يعُوم على الماء وهو يطفح فأصبنا عسكرهم فيه من الجُرب أمثال الرجال من الكافور ، وأصبنا من بَقَرهم فذبحنا فجعل الناس يلقون الكافور على اللحم ويقولون ما أمَرَّ ملح العجم . قال :

وأصبنا من آنية الذَّهبِ حتى جعل الرجل يشتري صفراء ببيضاء يعني ذهباً بفضة .

حدثنا من سمع أبا محصن عن حُصَين عن أبي وائل قال : ألجأناهم إلى المدائن فدخلوها ، ونزل المسلمون دير المسالح فجعلنا نقاتلهم فقال المسلمون هؤلاء في البيوت ونحن بالعراء وفي الصحارى فاعبروا بنا إليهم فعبر المسلمون من فوق المدائن من أسفل فأقحمنا في الماء حتى عبرنا إليهم فحاصرناهم في الجانب الشرقي حتى أكلوا فيها الكلاب والسنانير فخرجوا على حامية معهم العيال والأثقال فساروا حتى نزلوا جلولاء .

حدثنا من سمع مسلمة عن داؤد بن أبي هند عن الشعبي قال : أوّل من أقحم فرسه في دجلة سعد .

وحدثني علي بن محمد عن أبي الذيال عن حميد بن هلال : أن أول من عبر هلال بن علّفة ، ويقال أول من عبر رجل من عبد القيس .

أبو الحسن عن حُباب بن موسى عن عاصم بن بهدلة عن زرّ بن حبيش قال : عبر سعد في أربع مائة فكانوا يتحدثون على ظهورها كما يتحدثون على الأرض .

ذكر مسيلمة عن المثنى عن أبي عثمان قال : غرق يومئذ رجل كان على فرس شقراء زَلّ عن ظهرها ، وخرجت الفرس تنفض عرفها .

ولد سعيد بن المسيَّب لسنتين خلتا من خلافة عمر ، ومات نوفل بن الحارث لسنتين خلتا من خلافة عمر .



وفي هـذه السنة ولى عمر عثمـان بن أبي العـاص أرض عمـان والبحرين فسار إلى عمان ، ووجَّه أخـاه الحكم بن أبي العاص إلى البحرين .

حوادث سنة عشر ومائة
(تاريخ خليفة بن خياط ٢/٤٩٧ ـ ٤٩٩)

فيهـا غزا مَسْلَمـة بن عبـد الملك بـلاد الخـزر وهي الغـزاة التي تسمى غزاة الطين .

قـال أبو خـالد عن أبي بَـرعاء النُّميـري قال : قصـد مسلمة إلى تلميس فلقي طاغية الخزر في جمع كثير قريبـاً من الباب . فـاقتتلوا أيـاماً كثيـرة . ثم هـزمهم الله وذلـك يـوم الخميس لسبع خلون من جمادى الآخرة سنة عشر ومائة .

قال أبو براء : فحدثني عبد الله بن أسيد الكلابي أن مسلمة قفل من باب اللّان ، فلقيته الخزر فناوشوه حتى حجز بينهم الليل وقفـل مسلمة سالماً .

قال ابن الكلبي : كان قتال مسلمة اياهم نحواً من شهـر في مطر شديد ثم هزمهم الله .

وفيهـا غـزا معـاوية بن هشـام أرض الـروم وافتتـح حصنين من حصونهم حَمَلة والموة .

قال أبو خالد : فيها قدم عبيدة بن عبد الرحمن البركـاني من بني سُليم إفريقية ، فأغزى عثمان بن أبي عبيدة على سبع مائة . فقصد السراقُس مدينة صقلية ، فلقوه . فأسر بطريقهم وهزمهم الله .



وأقام الحج ابراهيم بن هشام بن اسماعيل المخزومي .

وفي سنة عشر ومائة مات الحسن بن أبي الحسن في رجب وصلّى عليه النّضر بن عمرو المقرىء من حمير من أهل الشام وفيها مات محمد بن سيرين في شوّال وصلّى عليه النّضر بن عمرو .وفيها مات الفرزدق، وجرير بعده بأشهر قال ابن الكلبي : وفيها مات عبد الملك ابن يسار أخو عطاء، وسلمان بن يسار. وفيها مات وهب بن منبّه، وابراهيم بن محمد بن طلحة بن عبيدالله.

خروج عبد الله بن يحي الكندي المعروف بطالب الحق بحضرموت

وخطبة ابي حمزة الخارجي في مكة

(خليفة بن خياط : التاريخ ٢/٥٨٢ ـ ٥٨٥

وفي هذه السنة وهي سنة تسع وعشرين ومائة خرج عبد الله بن يحي الأعور الكندي الذي يسمى طالب الحق بحضرموت وعليها ابراهيم بن جبلة بن مَخْرمَة الكندي . فأخرج ابراهيم منها من غير قتال . واجتمعت الاباضية إليه فبايعوه وعامة أصحابه أهل البصرة .

ثم خرج إلى صنعاء وعليها القاسم بن عمر الثقفي وهو في ألفي رجل من الشراة ، وخرج القاسم بن عمر وهو في نحو من ثلاثين ألفاً ، فالتقوا بالجانح قرية من قرى أبْيَن ، فاقتتلوا قتالاً شديداً . ثم انهزم القاسم وأكثر القتلى في اصحابة حتى أتى صنعاء . وسار عبد الله بن يحي وقد خندق القاسم خنادق ، فبيته في وجه الصبح فهرب القاسم . وقتل الصّلت بن يوسف بن عمر في المعركة ، وقتل ناس كثر . ودخل صنعاء فأخذ الخزائن والاموال فقوي بها . فأقام أشهراً ثم وجّه إلى مكة رجلاً من أهل

البصرة من الأزد يقال له : بَلَج بن المثنى ، ثم وجه أبا حمزة المختار بن عوف الأزدي في عشرة آلاف وأمره بأن يقيم بمكة .

فزعم اسماعيل بن اسحق : أن بلجاً قدم في الموسم فلم يشعر الناس وهم بعرفات حتى اطلعت عليهم الخيل من الجبل من طريق الطائف . فاجتمع الناس إلى عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك ابن مروان وهو والي مكة والمدينة ، فكره عبد الواحد قتالهم . فمشى عبد الله بن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب بينهم حتى أخذ عليهم ولهم ألّا يحدثوا حدثاً حتى ينقضي أمر الموسم ففعلوا . فوقف عبد الواحد بالناس ، ووقف بلج بأصحابه بعرفات وبجمع ، وأقاموا أيام مني . فلما كان يوم النفر نفر عبد الواحد فأتى مكة ثم أتى أبو حمزة مكة فخطبهم على المنبر فقال : يا أهل مكة تُعيروني بأصحابي تزعمون أنهم شباب.

خطبة أبي حمزة

« يا أهل مكة تعيروني بأصحابي ، تزعمون أنهم شباب ، وهل كان أصحاب رسول الله ﷺ إلّا شباباً ؟ أما إني عالمٌ بتتابعكم فيما يضركم في معادكم ، ولولا اشتغالي بغيركم ما تركت الأخذ فوق أيديكم . نعم شباب مكتهلون في شبابهم ، ثقال ، غبية عن الشر أعينهم ، بطية عن الباطل أرجلهم ، قد نظر إليهم في جوف الليل مثنية أصلابهم بمثاني القرآن ، إذا مرّ أحدهم بآية فيها ذكر الجنة بكى شوقاً إليها ، وإذا مرّ بآية فيها ذكر النار شهق شهقة كأن زفير جهنم في اذنيه ، قد وصلوا كلالهم بكلالهم ، كلال ليلهم بكلال نهارهم . قد أكلت الأرض جباههم وأيديهم وركبهم ، مصفرة

ألوانهم ، ناحلة أجسامهم من طول القيام وكثرة الصيام ، مستقلين لـذلك في جنب الله ، مـوفون بعهـد الله ، منجزون لـوعد الله ، إذا رأوا سهام العدو فوّقت ورماحهم قد أشرعت وسيوفهم قد انتضيت ، وأبـرقت الكتيبة وأرعـدت بصواعق المـوت استهانوا بوعيـد الكتيبة لوعيد الله ، مضى الشبـاب منهم قدمـاً حتى تختلف رجلاه عن عنق فرسه ، قد رملت محاسن وجهه بالدماء ، وعفـر جبينه في الثـرى ، وأسـرعت إليه سبـاع الأرض . فكم من عين في منقار طـائر طـالمـا بكى صـاحبهـا من خشيـة الله ، وكـم كـف قـد بـانت بمعصمهـا طالما اعتمد عليها صـاحبها في سجـوده في جوف الليـل لله . وكم من خـدر رقيق ، وجبين عتيق قد فلق بعمـد الحـديـد ، رحمـة الله على تلك الابدان ، وأدخل أرواحها الجنان» ثم قال : «الناس منّـا ونحن منهم إلاّ عـابـد وثن ، أو كفـرة أهـل الكتـاب . أو سلطانـاً جائراً ، أو شاداً على عضده » .

وحدثنا اسماعيل بن اسحق عن الزنجي بن خالد قال : خطبنا أبو حمزة بمكة خطبة شكّك المستبصر وزاد المرتاب . حمـد الله واثنى عـليـه ثـم قـال: أيهـا الـنـاس سـألـنـاكـم مـن ولاتـكـم فـقـلـتـم فيهم والله الذي نعرف قلتم : أخذوا المال من غير حلّه فوضعوه في غير حقه، وجاروا في الحكم واستأثروا بحقوقنـا وفيئنا فجعلوه دُولـة بين أغنيائهم وذوي شرف الدنيا منهم، وجعلوا مقاسمنا وحقـوقنا في مهـور النساء وفـروج الإماء، فقلنـا لكم: تعـالـوا إلى هؤلاء الـذين ظلمـونـا وظلمـوكم وجـاروا في الحكـم فحكمـوا بـغيـر مـا أنزل الله، فقلتم لا نقوى على ذلـك، ووددْنا إن أصبنـا من يكفينا، فقلنا: نحن نكفيكم ثم الله راع علينا أن ظفـرنا لنعطين كل ذي حق

حقه، فجئنا فاتقينا الرماح بوجوهنا ، والسيوف بصدورنا ، وجعلنا الله راعياً كفيلاً لئن لتعطين كل ذي حق حقه ، فعرضتم دونهم فقاتلتمونا فأبعدكم الله ، فوالله لو قلتم : لا نعرف الذي تقولون ولا نعلمه كان اعذر ، مع أنه لا عذر لجاهل ، ولكن ابى الله إلّا أن ينطق بالحق على ألسنتكم ويأخذكم به في الآخرة . .

تسمية عمال أبي جعفر المنصور

خليفة بن خياط : التاريخ ٢/٦٧٢ - ٦٨٠

المدينة :

أقر عليها زياد بن عبيد الله الحارثي ، ثم عزله سنة إحدى واربعين ومائة وولّاها محمد بن خالد بن عبد الله القسْري ، ثم عزله سنة ثلاث واربعين وولّى رياح بن عثمان المُرّي فخرج محمد بن عبد الله بن حسن بن حسن بن علي بن ابي طالب في رجب سنة خمس واربعين ، فشدّ رياح بن عثمان ، فوجه أبو جعفر عيسى بن موسى بن علي فقتل محمد بن عبد الله .

وولى المدينة كثير بن الحصين أحد بني عبد الدار فولي شهراً ثم عزله .

وولى عبد الله بن الربيع الحارثي ثم عزله أبو جعفر سنة ست وأربعين .

وولى جعفر بن سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس ، ثم عزله سنة تسع واربعين ومائة .

وولى عبد الصمد بن علي بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب .





مكة:

أقر عليها زياد بن عبيد الله الحارثي مع ولاية المدينة ، ثم عزله سنة احدى واربعين ومائة .

وولى العباس بن عبد الله بن معبد بن عباس ثم عزله .

وولى سماعيل بن أيوب المخزومي ثم عزله .

وولى الهيثم بن معاوية العكي في سنة إحدى واربعين ثم عزله

وولى السَّري بن عبد الله بن الحارث سنة ثلاث واربعين ثم عزله .

وولى عبد الصمد بن علي ثم عزله .

وولى محمد بن ابراهيم بن محمد بن علي ، ثم عزله .

وولي محمد بن عبد الله الكثيري حتى مات(أي مات أبو جعفر) .

اليمن

اقر عليها عبد الله بن الربيع الحارثي ثم عزله .

وولى معن بن زائدة الشيباني في سنة اثنتين واربعين ومائة ثم عزله .

وولى الحجاج بن منصور ثم عزله .

وولى الفرات بن سالم . ثم ولّاها يزيد بن منصور حتى مات أبو جعفر .

البصرة

اقر عليها سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس ، ثم عزله.

وولى سفيان بن معاوية بن يزيد بن المهلب فقدم في شهر رمضان سنة سبع وثلاثين ، ثم عزله .

وولى عمر بن حفص هزارمَرْد سنة ثمان وثلاثين ومائة ، ثم عـزله سنة أربعين ومائة .

وولى عبد العزيز بن عبد الرحمن الازدي ، ثم عزله .

وولّى سوّار بن عبدالله مع القضاء ، ثم عزله .

وولّى عمر بن حفص هزار مرد الثانية في سنة اثنتـين واربعين ومـائة ، ثم ولّاه السند .

وولّى أبـا الجمل عيسى بن عمـرو السكسكي ، ولاه البصرة سنة ثـلاث واربعين ثم عزله وولّى اسماعيل بن علي بن عبدالله بن عباس في هـذه السنة ايضاً سنة ثلاث وأربعين ومائة فخرج اسماعيل واستخلف محمد بن سليـمان ابن علي ثم عزله .

وولى سفيـان بن معاويـة بن يزيـد بن المهلب ، فخـرج إلى أبي جعفـر واستخلف ابنه المغيـرة بن سفيـان . ثم قـدم سفيـان وخـرج ابـراهيم بن عبـدالله في شهـر رمضـان ، فسلّم إليـه سفيـان من غـير قتـال . ثم خـرج ابـراهيم من البصـرة في شـوال ، واستخلف ابنـه الحسن بن ابـراهيم . وقتـل ابـراهيم في ذي القعـدة . وغلب على البصرة سليمان بن مجاهد مولى لبني ضُبَيْعة .

ثم قدم جعفر بن سليمان فصلى بالناس يوم النحر .

ثم ولى أبو جعفر سلْم بن قتيبة ، فولي شهرين ثم عزله .

وولى محمد بن أبي العباس فلقّبه أهل البصرة أبو الـدّبس وذلك سنة ستة واربعين ثم خرج محمد بن أبي العباس سنة تسـع وأربعين واستخلف عُقبة بن سلم الهنائي فأقره أبو جعفر . ثم خـرج عقبة بن سلم سنة خمسين واستخلف ابنه نافع بن عقبة فعزله وولى جابـر بن

وولى عيسى بن عمر أبا الجمل الولايـة الثانيـة ثم عزلـه . وولى عبد الملك بن أيوب النميري سنة . . . (بياض في الأصل) وخمسين

ثم عزله . فولّى الهيثم بن معاوية سنة خمس وخمسين ثم عزله . وولى سَوّار بن عبد الله الصلاة ، وابن دعلج على الأحداث سنة توْبة الكلابي ، ثم عزله . وولى يزيد بن منصور سنة اثنتين وخمسين فولي شهراً ثم عزله .
خمس وخمسين ومائة ، فمات سوّار في آخر سنة ست وخمسين ومائة في آخر ذي الحجة . وصلّى بالناس عبيد الله بن الحسن فأقره أبو جعفر على الصلاة .

الكوفة :

أقر عليها عيسى بن موسى ثم عزله سنة تسع وثلاثين ، وولّى محمد بن سليمان ثماني سنين ثم عزله ، وولّى عمرو بن زهير أخا المسيّب بن زهير حتى مات أبو جعفر .

خراسان :

وليها بعد أبي مسلم أبو داوود من بني ذُهل ، ثم عبد الجبار بن عبد الرحمن الازدي ، ثم خازم ابن خزيمة ناحية وجبريل بن يحي ناحية ، ثم أسد بن عبد الله ، ثم عبد الله بن مالك الخزاعي ، ثم أبو عون الحمصي ، ثم حميد بن قحطبة ، مات بها ، واستخلف ابنه عبد الله بن حميد .

سجستان :

من عمال أبي جعفر عليها ابراهيم بن حميد بن محمد المروروذي ، ومعن بن زائدة ، قتل بها سنة احدى وخمسين ومائة ، واستخلف معن يزيد بن مزيد فعزله المهدي في ولاية أبي جعفر ، وولّى تميم بن عمر من بني تيم اللات بن ثعلبة ، ثم عزله وولى عبيد الله بن العلاء حتى مات أبو جعفر .

السند :

موسى بن كعب ، ثم شخص ، واستخلف ابنه عيينة بن موسى فلم يزل والياً حتى قدم عمر بن حفص هزار مرد سنة ثلاث واربعين ومائة ، فلم يسلم إليه عيينة وحاربه ، فحاصره عمر بالمنصورة احد عشر شهراً ، ثم سأله عيينة الصلح على أن يشخص عنها فصالحه ، فشخص عنها عيينه .

واستقامت البلاد لعمر بن حفص . ثم كتب إليه أبو جعفر يأمره بالشخوص فشخص . واستخلف أخاه لأمه جميل بن صخر. ثم عزله وولى هشام بن عمرو التغلبي ثم شخص إلى ابي جعفر ، واستخلف أخاه بسطام بن عمرو ثم عزله أبو جعفر وولى سعيد بن الجليل رجلاً من بني تميم فمات بالمنصورة ، واستخلف ابنه محمد بن سعيد فلم يزل عليها حتى مات أبو جعفر .

النجران :

من عمال ابي جعفر عليها عبد ربّه بن شريك بن عبد ربّه ، وعُقبة بن سلم ، ويزيد بن عوانة الهلالي .

اليمامة :

قثم بن العباس بن عبيد الله بن العباس .

الجزيرة :

كان أبو جعفر ولاها مقاتل حكيم العكي في خلافة أبي العباس . ثم سار عبد الله بن علي بعد موت أبي العباس فحاصر



مقاتل بن حكيم في مدينة حرّان حتى دفعها على صلح . فبعث أبو جعفر أبا مسلم إلى عبد الله بن علي فالتقوا بنصيبين في جمادي سنة سبع وثلاثين ومائة ، فانهزم عبد الله بن علي . فولّى أبو جعفر الجزيرة مخارق بن العقّار ، ثم ولى حميد بن قحطبة ، ثم العباس بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس ، ثم موسى بن سليم ، رجل من أهل خراسان ، ثم موسى بن مُصعب مولى اليمن .

إفريقية :

قتل عبد الرحمن (أي عبد الرحمن بن حبيب الفهري) سنة ثمان وثلاثين ومائة وبايع الناس العباس بن حبيب ، فحاربه عُيينة بن عبد الرحمن بن حبيب ، فقتل العباس ودخل القيروان في جمادي الآخرة سنة ثمان وثلاثين ومائة . فثار عاصم بن جميل ، فخرج حبيب بن عبد الرحمن من القيروان فولى أهل افريقية حُمَيد بن حُرَيث المُعافري وكان قاضيهم . ثم دخلها عاصم بن جميل في المحرم سنة اربعين ومائة ، ثم قتل عاصم بن جميل . ثم دخل عبد الرحمن بن خالد بن عمران بن أيوب السهمي سنة احدى واربعين ومائة فقتله مُكْرز بن جميل بن عبد الملك بن أبي الجَعْد .

وثار أبو الخطاب الاباضي فقتل مكرزاً ودخل القيروان وأخذ بيعة الناس . فولى أبو جعفر محمد بن الاشعث فقتل أبا الخطاب سنة ثلاث واربعين ومائة ، ثم ثار به الجند فأخرجوه وولوا عيسى بن موسى ، قائداً من قواد ابي جعفر ، فعزله أبو جعفر وولى الاغلب بن سالم من بني تميم . فثار به الحسن بن حرب الكندي

فقتـل الاغلب ، ثم قتل المخـارق بن عقّار الـطائي وغلب عليهـا ، فكتب إليه امير المؤمنين بولايته . ثم ولّاها أبو جعفر عمر بن حفص هـزار مرد فـأقام بهـا زمناً ثم قتـل . فقـام بـأمـر النـاس اخـوه لأمـه جميل بن صخر . ثم حاربه أبو حاتم ، رجل من البربـر زمانـاً ، ثم اعطاه أبو حاتم اماناً وصارت إفريقية في يـد أبي حاتم . فـوجه أبـو جعفر يزيد بن حاتم ، فهزم أبا حاتم ونفاه عن البلاد حتى مات أبـو جعفر .

مقتطفات من كتاب طبقات خليفة بن خياط

بعض من حفظ عنه الحديث ممن أقام بالمدينة

(خليفة : الطبقات ص ٤ ـ ١١)

فكان من حفظ عنه الحديث ممّن أقام بالمدينة ومن شخص عنها من قريش ثم من بني هاشم بن عبد مناف:

العبـاس بن عبد المـطلب بن هاشم بن عبـد مناف أمُّـه نُتَيله بنت جناب ويُقال بنت مالك بن جَنـاب بن كليب بن مالـك بن عمرو بن عـامـر بن زيـد منـاة بن عـامـر بن سعـد بن الخـزرج بن تَيْم الله بن النَّمـر بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دُعمي بن جَـدْيلة بن أسَد بن ربيعة بن نزار بن معدّ بن عدنان، ويكنى أبا الفضل. توفي بالمدينة في سنة أربع وثلاثين، وصلّى عليه عثمان بن عفّان رحمهما الله.

والفضل وعبد الله ابنا العباس بن عبد المطلب بن هـاشم. أمهما أم الفضل واسمها لُبابة الصغرى بنت الحارث بن حَـزْن بن بُجَير بن



الهزم بن رُوَيْبة بن عبد الله بن عبد الله بن هلال بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عِكرمة بن خَصَفة بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، استشهد الفضل بالشام في خلافة أبي بكر الصديق يوم أجنادين ويقال يوم مرج الصُّفر سنة ثلاث عشرة، ويقال يوم اليرموك في خلافة عمر بن الخطّاب سنة خمس عشرة. ويكنى أبا عبد الله. ويُقال يكنى أبا محمد، وتوفيّ عبد الله بن العباس بالطائف. وصلّى عليه محمد بن الحنفيّة سنة ثمان وستين. ويكنى أبا العباس.

وجعفر وعلى وعقيل بنو أبي طالب، واسم أبي طالب عبد مناف بن عبد المطلب بن هاشم، أمهم فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف بن قصيّ، استشهد جعفر رضوان الله عليه يوم مؤته بناحية الشام في حياة رسول الله (صلعم) سنة سبع، يكنى أبا عبد الله. واستشهد عليّ رضوان الله عليه بالكوفة قتله ابن مُلْجِم صبيحة الجمعة لستٍّ بقين من شهر رمضان سنة أربعين، وصلّى عليه ابنه الحسن بن عليّ، يُكنى أبا الحسن، وأتى عقيل البصرة والكوفة والشام. يكنى أبا يزيد. مات في خلافة معاوية.

والحسن بن عليّ بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم، أمه فاطمة بنت رسول الله (صلعم)، أتى البصرة والكوفة، ومات بالمدينة سنة تسع وأربعين، يكنى أبا محمد، وصلّى عليه سعيد بن العاص وهو أمير المدينة.

والحسين بن عليّ بن أبي طالب، أمه فاطمة بنت رسول الله (صلعم)، ولا نحفظ له حديثاً عن رسول الله (صلعم).



استشهد بكربلاء من ناحية الكوفة سنة إحدى وستين في يوم عاشوراء، يكنى أبا عبد الله رضوان الله عليهما.

وعبد الله بن جعفر بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم، أمه أسماء بنت عُمَيس بن مالك بن النعمان، قال ابن إسحق أسماء بنت عُمَيس بن معد بن الحارث بن تيْم بن كعب بن قُحافة بن عامر بن ربيعة بن عامر بن سعد بن مالك بن بشر بن وهب بن خَثْعم بن انمار بن أراش بن عمرو بن الغَوث. أتى عبد الله البصرة والكوفة والشام ومات بالمدينة سنة اثنتين ويقال أربع وثمانين، يكنى أبا جعفر.

وربيعة بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مُناف، وأمه غزيَّة بنت قيس بن طريف بن عبد العزّى بن عامر بن عميرة بن وديعة بن الحارث بن فِهر بن مالك بن النّضر بن كنانة، وأخواه نوفل وأبو سفيان ابنا الحارث، وأمهما جميعاً غَزيَّة. لا نحفظ عن أبي سفيان حديثاً، وربيعة يكنى أبا أروى، مات ربيعة بالمدينة في أول خلافة عمر، رضوان الله عليهم، ونوفل يكنى أبا الحارث مات في أول خلافة عمر.

وعبد المطلب بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، وأمه أم الحكم بنت الزبير بن عبد المطلب بن هاشم، مات بالشام في ولاية يزيد بن معاوية.

ومن موالي بني هاشم بن عبد مناف:

زيد بن حارثة بن شرحيل بن كعب بن عبد العزى بن يزيد بن امرىء القيس بن عامر بن النعمان بن عامر بن عبد وُدّ بن امرىء



القيس بن نعمان بن عمران بن عبد عوف بن كنانة بن عُـذره بن زيد الـلات بن رفيدة بن وبـرة بن كلب بن وبرة، أمـه سعدى بنت ثعلبـة امـرأة من بني مَعْن من طيء. استشهد في حيـاة رسول الله (صلعم) يوم مؤتة مع جعفر بن أبي طالب سنة سبع، يكنى أبا أسامة، ويقـال غير ذلك.

وابنه أسامـة بن زيد بن حـارثة حِبُّ رسـول الله (صلعم)، أمه أم أيمن مولاة رسول الله (صلعم)، مات بالمدينة، يكنى أبا محمد.

وثَـوْبان مـولى رسول الله (صلعم)، أصله من اليمن أصـابه سبياً فمنّ عليه رسول الله ﷺ، يكنى أبا عبد الله. مـات بمصر سنـة أربع وخمسين.

وأبو السَمح خـادم رسول الله (صلعم)، روى عنـه أهل الكـوفة. ولا أدري أين مات.

وشقـران مولى رسـول الله (صلعم)، واسمه صـالح، لـولـده دار بالبصرة حضرة قنطرة قُرَّة، ولا أدري دخل البصرة أو أين مات.

وأبو مَوَيْهِبة، وأبو سـلام، وسلمان الفـارسي من أهل أصبهـان، ويُقـال من أهل رامْهُـرمُز، أتى الكـوفة، ومـات سنة ست وثـلاثين، ومات بالمدائن. يكنى أبا عبد الله.

وأبو عقبة الفارسي، وأفلح خادم نبي الله (صلعم)، روى أخـاف على أمتي. وفيروز بن الديلمي من الأبناء، أتى اليمن وبها مات.

وعبيد مولى رسول الله (صلعم)، وحديثه كان رسول الله (صلعم) يأمرنا بالصلاة بين المغرب والعشاء. وله حديث آخر.



وأبـو عـبيـد خـادم نـبي الله (صلعم)، وحـديثـه طـبخـت لـرسول الله (صلعم) قـدراً فقال نـاولني الذراع. وأبـو عسيب مـولى النبي (صلعم)، له حديثان.

وعبـد الله بن سَلاَم، وابنـاه يوسف ومحمـد ابنا عبـد الله، مـات عبد الله سنة ثلاث وأربعين ومهران روى الصدقة لا تحـل لنا. وأبـو رافع مات قبل الأربعين، وأبو كَبْشه مولى رسول الله (صلعم) واسمه سليم.

ومن حلفاء بني هاشم:

أبو مَرْثَد الغَنَوي اسمـه كناز بن الحُصين بن يـربوع بن عمـرو بن يـربوع بن خـرشة بن سعـد بن طريف بن جـلان بن غَنْم بن غني بن أعصـر بن سعد بن قيس بن عيـلان، مات سنـة اثنتي عشـرة. وابنـه مرثد بن أبي مرثد شهد بدراً واستشهـد في حياة رسـول الله (صلعم) يوم الرَّجيع. وشدّاد بن الهـادّ اسمه أسـامة بن عمـرو بن عبد الله بن جـابر بن بشـر بن عُتْواره بن عـامـر بن مـالـك بن ليث بن بكـر بن عبـد مناة بن عليّ بن كنـانة، وهـو أبو عبـد الله بن شدّاد بن الهـادّ، وشدّاد سلف حمزة عمّ رسـول الله (صلعم) كانت عنـده سلمى بنت عُميس هي أخت أسمـاء بنت عُميس، خلَف عليها بعـده حمـزة بن عبد المطلب.

ويزيد بن أخت النَّضر هو اسمه، وابنه الحباب بن يزيد مات سنة ثمانين.

ـ ومن بني نوفل بن عبد مُناف بن قصي:

جُبَيْر بن مُطْعِم بن عـدّي بن نوفـل بن عبد مُنـاف، أمُّه أم جميـل

بنت سعيد بن عبد الله بن أبي قيس بن عبد وُدّ بن عامر بن لؤي. مات بالمدينة سنة سبع وخمسين.

وعُقبة بن الحارث بن عامر بن نوفل بن عبد مُناف، أمُّه امرأة من خُزاعة من بني مليح بن عمرو. ووحشي مولى جبير بن مطعم مات بحمص.

وعُتبة بن غزوان بن جابر بن وهب بن نشيب بن مالك بن الحارث بن مازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان، وولاه عمر البصرة. وله بناحيتها فتوح، ومات بالمدينة سنة أربع عشرة، ويقال مات حين شخص عن المدينة، حليف بني نوفل، نزل البصرة، يكنى أبا عبد الله.

وعبد الله بن مالك مِنْ أزدشنوءة، أمُّه بُحَيْنة بنت الحارث بن المطلب بن عبد مُناف بن قصي حليف لبني نوفل.

ومن بني عبد شمس بن عبد مُناف بن قصيّ:

عثمان بن عفّان بن أبي العاص بن أُمية بن عبد شمس، أمُّه أروى بنت كريز بن حبيب بن عبد شمس بن عبد مناف، وأمها أم حكيم بنت عبد المطلب بن هاشم يُقال لها البيضاء، واستشهد في آخر ذي الحجّة سنة خمس وثلاثين، يكنى أبا عمرو، وقد اكتنى أبا عبد الله.

وأبو سفيان واسمه صخر بن حرب بن أُمية بن عبد شمس بن عبد مُناف، أمه صفيّة بنت حَزْن بن بُجير بن الهُزُم بن رُوَيبة بن عبد الله بن عامر، وأتى الشام ومات بالمدينة سنة إحدى وثلاثين.



وابناه يزيد ومعاوية ابنا أبي سفيان بن حرب، أم معاوية هند بنت عتبة بن ربيعة/ابن عبد شمس بن عبد مناف، ويكنى أبا عبد الرحمن، مات بالشام سنة ستين، ومات يزيد بالشام في طاعون عمواس سنة ثمان عشرة، أمه هند بنت حبيب بن نوفل بن غلم بن فهر بن كنانة بن خزيمة.

وأبَان بن سعيد بن العاص بن أُمية بن عبد شمس بن عبد مُناف، أمه صفيّة بنت المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم. روى عن النبي (صلعم): (الناس معادن)، استشهد يوم اخبادين. ويقال يوم مرج الصُّفَر. واليومان جميعاً سنة ثلاث عشرة في خلافة أبي بكر الصدّيق. ويقال يوم اليرموك سنة خمس عشرة في خلافة عمر بن الخطاب.

وأخواه عمرو والحكم ابنا سعيد بن العاص، أمهما هند بنت المغيرة بن/عبد الله بن عمر بن مخزوم. روى الحكم أن النبي (صلعم) قال له فما اسمك؟ قال: الحكم، قال: أنت عبد الله، وروى عمرو في الخاتم. واستشهد عمرو يوم مرج الصُّفَر، ويقال يوم اليرموك، والحكم يوم اليمامة.

وأخوهم خالد بن سعيد بن العاص، أمه لبينة بنت خباب بن عبد ياليل بن نابت بن غيرة بن سعد بن ليث بن بكر بن عبد منَاة بن علي بن كنانة بن خزيمة، استشهد يوم مرج الصُّفَر، روى إلى النبي (صلعم) قال: «للناس هجرتان ولكم هجرتان».

وعَتّاب بن أسيد بن أبي العيص بن أُمية بن عبد شمس بن عبد مُناف، يكنى أبا عبد الرحمن، أمُّه زينب بنت أبي عمرو بن

أمية، مات بمكة سنة ثلاث عشرة، ولاه رسول الله (صلعم) مكة حين انصرف عنها يوم الفتح.

والوليد بن عُقْبة بن أبي مُعِيط، اسم أبي مُعيط أبان بن أبي عمرو، واسم أبي عمرو ذكوان بن أمية، أمُّه أروى بنت كُريز بن حبيب بن عبد شمس، وهو أخو عثمان بن عفّان لأمه. أتى البصرة والكوفة، ومات بالرقة بأرض الجزيرة، يكنى أبا وهب...

الطبقة الأولى من أهل البصرة ممّن حفظ عنه الحديث بعد أصحاب رسول الله (صلعم)
(خليفة: الطبقات ١٩٠ ـ ٢٠١)

من مضر ثم من كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معدّ بن عدنان.

ـ عبد الله بن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم، أمُّه هند بنت أبي سفيان بن حرب بن أمية، يكنى أبا محمد، مات بعمان بعد الثمانين.

وعبد الله بن فُضالة بن وَهْب بن عروة بن بُجَير بن قيس بن مالك بن عامر بن ليث بن بكر بن عبد مناة بن علي بن كنانة بن خزيمة، قضى على البصرة، يُكنى أبا عائشة، أمُّه أميمة بنت صيفي بن حكيم بن أسلم من خزاعة.

وابن أخيه: هشام بن هبيرة بن فُضالة، قضى على البصرة، أمُّه



آمنة بنت عاصم بن وهْب بن عمرو بن بُجَير، مات سنة ثمانين أو إحدى وثمانين، ويقال قبل الثمانين.

ـ وعبد الله بن الصامت، مات بعد السبعين.

ـ وأبو الأسود الدؤلي، اسمه ظالم بن عمرو بن سفيان بن جندل بن يعمر بن حِلْس بن نُفاثة بن عديّ بن الدؤل بن بكر بن علي بن كنانة بن خزيمة، أمُّه الطويلة من بني عبد الدار بن قصي.

وزياد بن أبي سفيان، يكنى أبا المغيرة، مات في شهر رمضان سنة ثلاث وخمسين. وعبيد الله بن عبد الله بن معمر، مات قبل الثمانين.

وفُضالة بن أبي أُمية، مولى عمر، هو جدّ مبارك بن فضالة.

ـ ومن هذيل بن مدركة بن إلياس بن مضر:

أبو سبرة واسمه سالم بن سلمة بن نوفل بن عبد العُزّى بن أبي نصر بن جهمة بن مطرود بن مازن بن عمرو بن غَيرة بن عمرو بن الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل بن مُدركة.

وسنان بن سلمة بن المُحبق، اسم المُحبِق صخر بن عبيد الله بن الحارث بن الحصين بن الحارث بن عبد العزّى بن وائل بن دابغة بن لحيان بن هُذَيل، ولد في حياة رسول الله (صلعم) ومات في أول ولاية الحجّاج العراق، يكنى أبا خُبَيب، وأمُّه أمامة بنت التؤم ذات النَّجيَّين.

ـ ومن مزينة وهم ولد عثمان بن عمرو بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر:

مزينة بنت كلب بن وبرة بن قضاعة بن حمير بن سبأ هي أم ولد

عثمان بن عمرو: بشير بن المْحتضِر بن نصر بن زائدة من ولد عذّاء بن عثمان بن عمرو، يكنى أبا وكيع، ولاّه عمر بن الخطاب بعض أعماله.

وأرطبان مولى عبد الله بن ذرة، هو جدّ عبد الله بن عون بن أرطبان روى عن عمر وعلقمة بن عبد الله، روى عن عمر، وبقي إلى خلافة عمر بن عبد العزيز.

- ومن بني حنيفة بن لجيم بن صعب بن علي بن بكر بن وائل:

أبو مريم إياس بن صبيح من بني عبد الله بن الدُّول بن حنيفة، وهو أول قاض قضى على البصرة.

والصلت بن حريث بن جابر بن عمرو بن شيبان بن عبيد بن ثعلبة بن يربوع بن ثعلبة بن الدُّول بن حنيفة.

- ومن الأزد بن الغوث:

كعب بن سور بن بكر بن عبد الله بن ثعلبة بن سُليم بن ذُهل بن لَقيط بن الحارث بن مالك بن فهم بن غَنْم بن دوس بن عدنان بن عبد الله بن زهران بن كعب بن الحارث بن كعب بن عبد الله بن مالك بن نصر بن الأزد بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان، قضى على البصرة لعمر وعثمان، وقتل يوم الجمل سنة ثلاث وثلاثين.

المهلّب بن أبي صُفْرة. اسم أبي صُفرة ظالم بن سَرّاق بن صبح بن كِندي بن عمرو بن عدّي بن وائل بن الحارث بن العتيك بن الأزد بن عمران بن عمرو بن عامر، يكنى أبا سعيد، مات المهلّب سنة إحدى وثمانين، ويقال اثنتين وثمانين.

ـ ومن اليمن ثم من الأنصار:

سعد بن هشام بن عامر وعبد الله بن رباح أنصاري، يكنى أبا خالد، قتل في ولاية ابن زياد.

ومعبد ويحيى ابنا سيرين مولى مالك بن أنس.

والربيع بن زياد بن أنس بن الريّان وهو يزيد بن قطن بن الحارث بن مالك بن ربيعة بن كعب بن الحارث بن كعب بن عُلَة.

* * *

تسمية من حُفِظ عنه الحديث عن رسول الله (صلعم) من النساء (خليفة: الطبقات ص ٣٣٠ - ٣٣٢)

من قريش ثم من بني هاشم بن عبد مُناف:

فاطمة بنت رسول الله (صلعم) بن عبد المطلب بن هاشم، أمها خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزّى بن قُصَيّ.

ـ وأم هانىء اسمها فاختة بنت أبي طالب، واسم أبي طالب عبد مناف بن عبد المطلب بن هاشم، أمها فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف بن قصيّ.

ـ ودُرّة بنت أبي لهب، واسم أبي لهب عبد العزّى بن عبد المطلب بن هاشم، وأمها أم جميل بنت حرب بن أمية بن عبد شمس. وأم أبيها بنت حمزة بن عبد المطلب، أمها سلمى بنت عُميس بن مالك بن النعمان بن كعب بن مالك بن قحافة بن عامر بن

زيد بن نَسْر بن وَهْب بن خثعم بن أنمار بن أراش بن عمرو بن الغوث. . . . وهي التي اختصم فيها علي وجعفر ابنا أبي طالب وزيد بن حارثة، فقضى بها النبي (صلعم) لجعفر من أجل خالتها أسماء بنت عُميس، وكانت عند جعفر بن أبي طالب، وزعم أبو عبيدة وأبو اليقظان: أن رسول الله (صلعم) زوّجها أبا سَلَمة بن عبد الأسد بن هلال بن عمر بن مخزوم.

ـ وصفية بنت عبد المطلب بن هاشم، أمها هالة بنت وَهْب بن عبد مناف بن زُهرة بن كلاب، هي أخت حمزة بن عبد المطلب لأبيه وأمه، وهي أم الزبير بن العوّام. شهدت مع رسول الله (صلعم) خيبراً.

ـ وعاتكة بنت عبد المطلب بن هاشم، أمها فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم، وهي أخت عبد الله أبي رسول الله (صلعم). أدركت الإسلام وأسلمت. لا نحفظ عنها حديثاً.

ـ وضُباعة بنت الزبير بن عبد المطلب، أمها عاتكة بنت أبي وَهْب بن عائذ بن عمران بن مخزوم، روت عن النبي (صلعم).

ـ وأختها أم حكيم بنت الزبير بن عبد المطلب، أمها أيضاً عاتكة بنت أبي وَهْب، روت إن النبي (صلعم) أكل كتفاً ثم صلّى ولم يتوضأ.

قال خليفة: وروي هذا الحديث أيضاً عن ضباعة. قال خليفة: وحدثني غير واحد من بني هاشم أنهم لا يعرفون للزبير بن



عبد المطلب بنت غير ضباعة، قال: ضباعة هي أم حكيم، وقال أبو عبيدة: ضباعة وأم حكيم ابنتا الزبير بن عبد المطلب.

ـ وميمونة بنت سعد، كانت تخدم النبي (ﷺ) رَوَتْ مثل الرّافلة في الزينة في غير أهلها كمثل الظلمة يوم القيامة لا نور لها.

ـ وميمونة مولاة النبي (ﷺ) رَوَتْ عن النبي (ﷺ) في عذاب القبر.

ـ وأم أيمن مولاّة رسول الله (ﷺ)، هي أم أسامة بن زيد.

ـ وسلمى خادم النبي (ﷺ) رَوَتْ ما سمعت أحداً يشكو إلى رسول الله (ﷺ) وجعاً برأسه إلاّ قال احتجم، ولا وجعاً برجله إلاّ قال اخضبها بالحنّاء.

ـ وأمة الله مولاّة رسول الله (ﷺ)، وأمها رُوْيْبة. رَوَتْ سمعت النبي (ﷺ) في صوم عاشوراء.....

المصادر والمراجع

١ ـ القرآن الكريم

ابن الأثير

ـ عز الدين أبو الحسن علي محمد بن عبد الكريم الجزري (ت ٦٣٠).

ـ اللباب في تهذيب الأنساب ـ مكتبة القدسي ـ مصر ١٣٥٧هـ .

ـ أسد الغابة في معرفة الصحابة ـ المطبعة الإسلامية ـ طهران ٢٨٠/هـ .

البخاري

ـ محمد بن إسماعيل (ت ٢٥٦ هـ).

ـ الصحيح ـ مطبوعات محمد علي صبيح مصر بدون تاريخ.

ـ التاريخ الكبير ـ مطبعة جمعية دائرة المعارف العثمانية، حيدر آياد الدكن ١٣٥٨ ـ ١٣٦٢.

ابن تغري بردي

ـ أبو المحاسن يوسف الأتابكي (ت ٨٧٤ هـ).

ـ النجوم الزاهرة ـ مطبعة دار الكتب المصرية القاهرة (١٩٣٠ ـ ١٩٥٦).

الجوهري

- أبو نصر إسماعيل بن حماد (ت ٣٩٣ هـ).
- الصحاح تحقيق أحمد عبد الغفور عطار - مطبعة دار الكتاب العربي مصر ١٣٦٧ - ١٣٧٧ هـ.

ابن أبي حاتم

- أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي (ت ٣٢٧ هـ).
- كتاب الجرح والتعديل - مطبعة دائرة المعارف العثمانية حيدر آباد الدكن ١٩٥٥.

الحاكم النيسابوري

- أبو عبد الله محمد بن عبد الله (ت ٤٠٥ هـ).
- معرفة علوم الحديث تحقيق معظم حسين - مطبعة دار الكتب المصرية - مصر ١٩٣٧.

ابن حزم

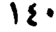
- أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد المغربي (ت ٤٥٦ هـ).
- جمهرة أنساب العرب تحقيق عبد السلام هارون - دار المعارف - مصر ١٩٦٢.

الخطيب البغدادي

- أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت (ت ٤٦٣ هـ).
- تاريخ بغداد - مطبعة السعادة مصر ١٩٣١.
- الكفاية في علم الرواية - جمعية دائرة المعارف العثمانية حيدر آباد الدكن ١٣٥٧ هـ.

ابن خلكان

- أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر (ت ٦٨١ هـ).



- وفيات الأعيان ت محي الدين عبد الحميد ـ مطبعة السعادة مصر ١٩٤٩.

خليفة بن خياط (ت ٢٠٤).

- طبقات خليفة بن خياط أكرم ضياء العمري ـ مطبعة العاني بغداد ١٩٦٧ وساعدت جامعة البصرة على نشره.
- طبقات خليفة بن خياط ت سهيل زكار ـ منشورات وزارة الثقافة والسياحة والارشاد والقومي في سوريا ـ دمشق ١٩٦٦.
- تاريخ خليفة بن خياط ت أكرم ضياء العمري ـ مطبعة الآداب النجف ١٩٦٧.
- تاريخ خليفة بن خياط ت سهيل زكار ـ منشورات وزارة الثقافة والسياحة والارشاد القومي في سوريا ـ دمشق ١٩٦٦ ـ ١٩٦٨.

الذهبي

- شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت ٧٤٨ هـ).
- تذكرة الحفاظ ـ دائرة المعارف العثمانية حيدر آباد الدكن ١٩٥٥.
- ميزان الاعتدال في نقد الرجال ـ مطبعة السعادة مصر ١٣٢٥.
- تاريخ الإسلام ـ مطبعة السعادة مصر ١٣٦٧ ـ ١٣٦٩ هـ.

السخاوي

- محمد بن عبد الرحمن (ت ٩٠٢ هـ).
- الإعلان بالتوبيخ لمن ذمّ أهل التاريخ طبع مع كتاب علم التاريخ عند المسلمين لفرانتز روزنتال ترجمه صالح أحمد العلي ـ دار العلم للملايين في بيروت ومؤسسة فرانكلين.

ابن سعد

- محمد (ت ٢٣٠ هـ).



- الطبقات الكبرى - دار بيروت ودار صادر بيروت ١٩٥٨ .

السيوطي

- جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١ هـ) .
- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة - مطبعة السعادة ١٣٢٦ هـ .
- تدريب الراوي شرح تقريب النواوي ت عبد الوهاب عبد اللطيف مصر ١٩٥٩ .
- تاريخ الخلفاء - نشر المكتبة التجارية الكبرى ١٣٨٩ هـ .

الطبري

- محمد بن جرير (ت ٣١٠ هـ) .
- تاريخ الرسل والملوك - نشر دار الكتب العلمية - بيروت .

ابن عبد البر

- أبو عمر بن عبد البر النمري القرطبي (ت ٤٦٣ هـ) .
- الاستيعاب في معرفة الأصحاب ت علي محمد البجاوي - مطبعة نهضة مصر د. ت .

ابن عساكر

- علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله الشافعي (٥٧١ هـ) .
- تاريخ مدينة دمشق المجلد الأول ت صلاح الدين المنجد - المطبعة الهاشمية دمشق ١٩٥٤ . والمجلد العاشر ت محمد أحمد دهمان - طبع المجمع العلمي العربي دمشق د.ت .

العسقلاني

- شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر (ت ٨٥٢ هـ) .
- الإصابة في تمييز الصحابة - مطبعة مصطفى محمد مصر ١٩٢٩ م .

- تهذيب التهذيب ـ مطبعة دائرة المعارف العثمانية النظامية، حيدر آباد الدكن ١٣٢٥ ـ ١٣٢٧.

ابن العماد

- أبو الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي (ت ١٠٨٩ هـ).
- شذرات الذهب في أخبار من ذهب ـ المكتب التجاري بيروت د. ت.

ابن قتيبة

- أبو محمد عبد الله بن مسلم الدنيوري (ت ٢٧٦ هـ).
- عيون الأخبار ـ دار الكتب العلمية بيروت ـ لبنان.
- المعارف ت ثروت عكاشة ـ مطبعة دار الكتب المصرية القاهرة ١٩٦٠. ودار الكتب العلمية بيروت.

ابن ماجه

- أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (ت ٢٧٥ هـ).
- السنن ت محمد فؤاد عبد الباقي ـ دار احياء الكتب العربية مصر ١٩٥٣.

أبي منظور

- جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم بن علي (ت ٧١١ هـ).
- لسان العرب ـ دار العلم للملايين بيروت ـ لبنان.

النويري

- شهاب الدين أبو العباس (ت ٧٣٢ هـ).
- نهاية الأرب في فنون العرب ـ دار الكتب العربية مصر.

ابن النديم

- محمد بن إسحق (ت ٣٨٥ هـ).
- الفهرست ـ مطبعة الاستقامة القاهرة د. ت.

اليعقوبي

- أحمد بن أبي يعقوب (ت ٢٩٢ هـ).
- تاريخ اليعقوبي - دار صادر بيروت ١٩٦٠.

المراجع

أحمد أمين

- ضحى الإسلام ـ مكتبة النهضة المصرية ١٩٣٥.

إسماعيل أدهم

- علم الأنساب العربية ـ القاهرة ١٩٣٨.

حسين مؤنس

- شيوخ العصر في الأندلس ـ دار مصر ١٩٦٥.

حسين نصار

- نشأة الكتابة التاريخية في الأدب العربي ـ القاهرة ١٩٦٦.

عفت الشرقاوي

- أدب التاريخ عند العرب ـ القاهرة ١٩٧٦.

عبد العزيز سالم

- تاريخ العرب قبل الإسلام ـ دار النهضة العربية بيروت.

عماد الدين خليل

- التفسير الإسلامي للتاريخ ـ بيروت ١٩٧٥.

قاسم عبده قاسم
- الرؤية الحضارية للتاريخ - دار المعارف ١٩٨٥ م

كارل بروكلمان
- تاريخ الأدب العربي - دار المعارف مصر.

محمد أحمد جاد المولى ومحمد أبو الفضل إبراهيم
- أيام العرب - القاهرة ١٩٤٢.

هاملتون جب
- علم التاريخ (كتب دائرة المعارف الإسلامية) - دار الكتاب اللبناني بيروت.
- دراسات في حضارة الإسلام - دار العلم للملايين.



فهرست المحتويات

أعلام مؤرخي العرب والإسلام

يقول العلاّمة ابن خلدون في مقدمته: «أما بعدُ؛ فإن فنّ التاريخ من الفنون التي تتداولُهُ الأممُ والأجيال، وتُشدُّ إليه الركائب والرِّحال، وتسمو إلى معرفته السُّوقةُ والأغفال، وتتنافس فيه الملوك والأقيال، وتتساوى في فهمه العلماء والجهال؛ إذ هو في ظاهره لا يزيد على أخبار عن الأيام والدول، والسوابق من القرون الأُوَل، تنمو فيه الأقوال، وتُضرب فيه الأمثال، وتُطْرفُ بها الأندية إذا غصَّها الاحتفال، وتؤدي لنا شأن الخليقة كيف تقلبت بها الأحوال، واتسع للدول فيها النطاق والمجال، وعمّروا الأرض حتى نادى بهم الارتحال، وحان منهم الزوال؛ وفي باطنه نظرٌ وتحقيق، وتعليل للكائنات ومبادئها دقيق، وعلم بكيفيات الوقائع وأسبابها عميق، فهو لذلك أصيل في الحكمة عريق، وجدير بأن يُعدَّ في علومها وخليق».

ولا شك أن كلمة ابن خلدون هذه تعبّر أدق تعبير عن معنى علم التاريخ، وتعرِّفه تعريفاً مفصَّلاً يقترب من معظم التعريفات المعاصرة.

وإذا كان علم التاريخ هو هكذا كما عرَّفه ابن خلدون، فلا شك أن عامّة الناس وخاصَّتهم أكثر حاجةً إلى معرفته من معظم العلوم الأخرى. لذا وانطلاقاً من هذا المبدأ نضع بين يدي القارىء العربي الكريم هذه السلسلة عن أعلام الفكر التاريخي العربي والإسلامي آملين أن نحقق الهدف المنشود من إصدارها.

كما نشير إلى أننا ـ إضافة إلى هذه السلسلة ـ أصدرنا، وسنصدر تباعاً إن شاء الله مجموعات أخرى عن أعلام الفكر العربي والغربي في مختلف الميادين المعرفية. وما توفيقنا إلا بالله.

